السياسة الدينية للملك وليم الثاني روفوس تجاه الكنيسة الانجليزية

رحاب محمود تركي عبد اللاه أحمد (*)

تمهيد:

من المعروف أن المسيحية دخلت بريطانيا في فترة باكرة قبل اعتراف الإمبراطورية الرومانية نفسها بالمسيحية من خلال مرسوم ميلان سنة ٣١٣م، والدليل على ذلك استشهاد عدد كبير من المسحيين من أجل نشر الديانة المسيحية في الجزيرة البريطانية، وكان القديس ألبان Alban نموذجا بارزًا لهؤلاء الشهداء، الذي استشهد سنة ٣٠٣م، وكذلك حضور بعض الأساقفة وممثلي الكنيسة الإنجليزية بعض المجامع الدينية عام ٣١٤م(١).

وخلال العصر الإنجلوسكسوني توارت الديانة المسيحية عن الصدارة لبعض الوقت، وحلت محلها الوثنية؛ وذلك نظرا لأن السكسون كانوا يدينون بالوثنية التي تعتمد على تعدد الإلهة وتقديم الذبائح والقرابين لهم، ومن بقى على عقيدته المسيحية من الكلت، فضل أن ينجو بنفسه وبعقيدته بالهجرة إلى الأجزاء الغربية والشمالية في ويلز واسكتلندا وايرلندا، حيث تواجدت المسيحية الكلتية في نقاط بعيدة وتطورت بمعزل عن المؤثرات الخارجية سواء من البابوية في روما أو غيرها(٢)، ثم جاء الدور المهم بعد ذلك للبابا جريجوري الأول Gregory the (٥٩٠-٦٠٤م) الذي قام بإرسال بعثة من الرهبان المسيحيين إلى إنجلترا لإعادتها إلى حظيرة المسيحية مرة أخرى(٣).

(*) هذا البحث مستل من رسالة الماجستير الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [السياسة الداخلية والخارجية في إنجلترا في عهد الملك وليم الثاني (١٠٨٧ – ١١٠٠م)]، وتحت إشراف: أ.د. صلاح محمد ضبيع – كلية الآداب – جامعة سوهاج & أ.د. أسامة إبراهيم حسيب – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

(١) طبقا للتاريخ الكنسى فإن القديس ألبان Saint Alban أول قديس شهيد في التاريخ الانجليزي، قد ولد في القرن الثالث الميلادي بهيرتفوردشاير Hertfordshire،بالقرب من فيرلاميوم Verulamium،انتقل إلى روما وانخرط في الخدمة العسكرية تحت قيادة الامبراطور دقلديانوس، ثم عاد لموطنه مرة أخرى، واثناء ذلك احتمى به أحد القساوسة، واستكمل دوره البطولي في التخفي في زي ضيفه وقدم نفسه إلى السلطات باعتباره ذلك الضيف، حيث أخذ إلى أحد التلال وأعدم فيها ٣٠٤م، ولدوره العظيم حسب رؤية المصادر المعاصرة، فقد وضع ضمن سلسة الشهداء، ولمزيد من المعلومات حول القديس ألبان، انظر:

Bede, Ecclesiastical History of the English National, New York 1956, pp.15-17.

(2) Bede, Ecclesiastical History, pp. 47- 48.

(٣) ضمت هذه البعثة أربعين راهبا ترأسهم القديس أوغسطين وثيودور الطرسوسي، وقد وجدت حفاوة بالغة عند وصلها مملكة كنت بالجزيرة البريطانية عام ٥٩٧م من الملك اثلبرت Ethelbert (٥٨٩-٦١٦م)، وتم تعميد الملك، وسرعان ما تبعه أغلب رعاياه ،وبذلك عادت

والجدير بالذكر أن القديس أوغسطين هو من جعل من كانتربري مدينة بارزة في التاريخ الكنسي لبريطانيا العظمى؛ حيث أنها أصبحت أول كرسي أسقفي في بريطانيا تحت حكم القديس أوغسطين، وحافظت على موقع السلطة هذا طوال العصور الوسطى، وأحيانًا كانت (تتقاسم مع يورك، وفي أحيان أخرى فوقها)[١]، لكنها ظلت رأسًا لكنيسة إنجلترا في فترة الإصلاح، وما زالت هي الكنيسة الأم بها حتى يومنا هذا[٢]، ويعود التاريخ الكنسي لكانتربري إلى تحول كينت إلى المسيحية كما هو مكتوب في جميع الشوارع[٣].

وفي الواقع، ومن خلال دراسة أسماء الشوارع الحديثة في كانتربري، يمكننا أن نرى بوضوح أن العصور الوسطى والكنسية مرتبطتان ارتباطًا وثيقًا، ومن أجل العثور على أجزاء من تاريخ كانتربري التي تم ذكرها في أسماء الشوارع الحديثة، يجب النظر في تاريخ المدينة من أصولها،" من خلال اتفاقية وينشستر عام ١٠٧٢م التي تحمل علامة الفاتح، والتي شهدها لانفرانك وزملاؤه الأساقفة، والتي تنازل فيها رئيس أساقفة يورك لرئيس أساقفة كانتربري عن حقه في أن يكون رئيسًا لكل إنجلترا، كما هو الحال حتى اليوم[٤].

المسيحية للانتشار مرة أخرى بنفس السرعة السابقة، ولعدم ترحيب مدينة لندن بتلك البعثة في بداية الأمر، أصبحت مدينة كانتربري هي موضع الكنيسة الإنجليزية حتى الحين. وقد حرصت البابوية من جانبها على تزويد هذه البعثة بالكثير من الكتب الدينية ونسخ الكتاب المقدس لنجاح مهمتها على أكمل وجه، ولمزيد من المعلومات، للمزيد انظر:

Whitelock, The Beginning of English society the Anglo- period penguin Books, 1959, p. 155.

Bede, Ecclesiastical History, pp. 47-49.

(1) Reppy, The Oridance of William the Conqueror 1072- its Implications in the Modern law of Succession, Kentucky law journal: Vol. 42, 1954, p. 542.

(٢) مقاطعة كانتربري: هي مدينة تقع في جنوب انجلترا وتوجد بها كاتدرائية كانتربري مقر كنيسة انجلترا.

Reppy, Reppy, The Oridance of William the Conqueror 1072- its Implications in the Modern law of Succession, Op.Cit, p. 524.

(3) Reppy, Reppy, The Oridance of William the Conqueror 1072- its Implications in the Modern law of Succession, p. 526.

(٤) مارست المحاكم المحلية في المقاطعة والمائة الولاية القضائية على الموضوع الذي كان من الممكن اعتباره، في نورماندي، ضمن نطاق مقاطعة المحكمة الكنسية. لذلك ليس من المستغرب أن نجد وليم، وفقًا لسياسته التي اتبعها طوال حياته في نورماندي، وبمشورة وتشجيع لانفرانك بلا شك، يتخذ خطوات للفصل بين المحاكم الكنسية ومحاكم القانون العام. تم تحقيق هذه الغاية في عام ١٠٧٢ من خلال ما يشار إليه الآن باسم مرسوم وليم الفاتح. وينص على أنه لا يجوز لرجال الكنيسة الاستمرار في الأعمال الكنسية في محاكم المائة والمقاطعة، ولكن يجب عليهم بعد ذلك التعامل مع شؤونهم في محاكمهم الخاصة التي يرأسها،انظر:

أولاً: علاقة الملك وليم الثاني روفوس بالكنيسة الانجليزية:

كان الملك وليم الفاتح William the Conqueror (١٠٦٦- ١٠٨٧م) طاغية في الكنيسة والدولة، وكانت إرادته قانون الأرض، ولقد استفاد بالكامل من حق المنتصر، وقام بإخضاع أملاك الكنيسة لنفس الالتزامات الإقطاعية التي تخضع لها الأراضي الأخرى[١]، ثم قام بعزل رئيس الأساقفة ستيجاند Stigand (١٠٥٢- ١٠٧٠م) مع أقرب فرصة سنحت له، وغيره من الأساقفة الساكسونيين لإفساح المجال للمفضلين النورمانديين الذين لم يفهموا حتى لغة الشعب، ولم تبدأ هذه التغييرات حتى عام ١٠٧٠م.

وعندما حوكم ستيجاند أمام المندوبين البابويين الذين وضعوا التاج على رأس وليم[٢]، ولم يسمح لأي مجمع سينودسي بالاجتماع والتشريع دون إذنه المسبق والتأكيد اللاحق لمراسيمه، ولا يتم الاعتراف بأي بابا في إنجلترا دون إرادته، ولا يتم استلام الرسائل البابوية ونشرها دون موافقته[٣]، ولم يكن من المسموح لأي كاهن أن يغادر المملكة دون إذنه، وكان الأساقفة ممنوعين من حرمان أحد النبلاء

Reppy,A., The Ordinance of William the Conqueror (1072)--Its Implications in the Modern Law of Succession, Kentucky Law Journal: Vol. 42,1954, pp.524-526.

(1) Innes: A History of the Biritishnation: from the Earliest Times of the Present day, London, 1918, p. 55; Smith, G., A constitutional and legal History of England ,New York,1955, p. 41.

(٢) بعد انتصار وليم في المعركة ذهب إلى لندن ليتم تتويجه على الرغم من أن رئيس أساقفة كانتربري يتوج عادة الملوك الإنجليز، إلا أن وليم اختار أن يتوج من قبل رئيس أساقفة يورك بدلاً من ذلك، منذ أكثر من ألف وخمسمائة عام، أُرسل لجميع رؤساء الأساقفة الكاثوليك نوع من القلائد من صوف الحملان يُطلق عليها اسم الباليوم الذى سوف تشير له الباحثة خلال السطور القادمة من قبل البابا كعلامة على موافقة البابا على تعيينهم. وتم تعيين ستيجاند، آخر رئيس أساقفة أنجلوسكسوني في مدينة كانتربري، رئيسًا للأساقفة بينما كان سلفه لا يزال على قيد الحياة وفي المنفي، ولم يتلق درعًا مطلقًا. وهذا يعني أن البابا لم يعترف به باعتباره رئيس الأساقفة الحقيقي، وربما كان ذلك سببًا آخر وراء دعم البابا ألكسندر لغزو وليم. في عام ١٠٧٠، تم عزل ستيجاند واستبداله كرئيس للأساقفة بعالم نورماندي عظيم، لانفرانك بيك، عمل لانفرانك والملك وليم معًا بشكل وثيق وأصبحت الكنيسة في إنجلترا أشبه بالكنيسة في نورماندي وأجزاء أخرى من أوروبا. للمزيد انظر:

Innes,A., A history of the British nation : from the earliest times to the present day,Lodon,1918,pp.55-56.

(3) Hume Brown: History of Scotland ,Cambridge,1889., p. 50; Smith, Op. Cit, p. 42; Adams, G. B.: The History of England from the Norman Conquest to the death of John (1066-1216), London. 1905, p. 50.

كنسياً بتهمة الزنا أو أي جريمة يعاقب عليها بالإعدام دون موافقة مسبقة من الملك[١].

أما فيما يتعلق بنظرة وليم روفوس للكنيسة ورجال الدين في انجلترا، فقد وهبته الطبيعة عقلًا خصبًا في المخططات العظيمة، والتي مكنته لأن يصعد إلى قمة الشرف القصوى مخلصًا لوالده في كل شيء، قاتل أمام عينيه في المعركة وحرص على البقاء إلى جانبه في وقت السلم هذا إلى جانب ما تلقاه من تربية من لانفراك كل ذلك دفع وليم الأب لأن يمهده لأن يخلفه في حكم انجلترا، خاصة بعدما خرج روبرت عن طوعه، وتمادى في هذا الأمر حتى تأمر ضده[٢].

ولم يرث عن أبيه الرذائل كلها ولا شيء من فضائله، فقد كان يحتقر ويكره رجال الدين، وقيل عنه إنه "كان يخاف الله قليلاً، ولا يخاف الإنسان أبداً"، ولم يكن متشككًا أو كافرًا، كما يصوره البعض، بل كان دنيئًا، آمن بالله مثل الشياطين لكنه لم يرتعد، وتحدى الرب، ولما شفي من مرض شديد قال: "لن يراني الله رجلاً صالحًا أبدًا، لقد عانيت على يديه كثيرًا"، شكك في عدالته، وسخر من المحن، وأعلن علناً أنه لا للقديس بطرس ولا لأي قديس آخر تأثير على الله، وأنه لن يطلب منهم المعونة[٣].

ومن ثم كانت علاقة الملك وليم روفوس مع الكنيسة ممزقة؛ لأنه غالبًا ما أبقى مناصب الأسقف فارغة، حتى يمنح نفسه القدر الكافي من الاستيلاء على ثرواتهم، وكان في الوقت الذى يلاقى فيه وليم روفوس عدم الاحترام والدعم في كثير من الأوقات من الكنيسة، فإنه كان يبحث دائما عن دعم الجيش له، حتى صور البعض أن أحد الجوانب البارزة في عهد وليم روفوس وضعه باعتباره العدو، أو

---

[١] تم ترشيح لانفرانك لمنصب رئيس الأساقفة بمجرد خلع ستيجاند (ساكسوني) في ١٥ أغسطس ١٠٧٠ وتم تكريسه في ٢٩ أغسطس ١٠٧٠. وكان منخرطًا بشكل كبير في مساعدة حكومة وليم على تأسيس الحكم النورماندي. وكانت العلاقة بين الاثنين قوية بشكل لا يصدق، والتي لن نرى مثلها مرة أخرى في هذه الفترة. أحضر لانفرانك أيضًا تلاميذًا مختارين بعناية من دير بيك في نورماندي على سبيل المثال. ابن أخيه بول الذي أصبح رئيس دير سانت ألبانز وجندولف الذي أصبح أسقف روتشستر - وهكذا كان يجعل الكنيسة عاملاً مهمًا في تأسيس الحكم النورماندي. لقد زودتها إعادة تنظيم الكنيسة الإنجليزية بوحدة وقيادة موحدة ساهمت في وحدة الدولة. كما ساعد التأكيد على سيادة كانتربري على يورك في تقليل خطر الانفصالية الشمالية. للمزيد انظر:

[2] William of Malemsbury, Chronicle of the Kings of England ,p.327; Williamson: Op.Cit, p. 10.

[3] Davis, H. W.: England under The Normans and Angevins(1066-1271),New York,1905, p. 88; Elliot: The Middle Ages in Brittan, Cambridge, 1930, p. 30.

المضطهد للكنيسة في مملكته، باعتباره الخصم الخاص للسلطة الكنسية[١]. لذا فإن السؤال هنا هو كيف دخل الملك وليم روفوس في صراع مع الكنيسة؟

قبل الاجابة هذا السؤال هناك توضيح يجب ذكره فمن الممكن أن يكون ضوء لتفسير وتوضيح لتلك الاجابة.

عادة ما يتم إدراج البابا جريجوري السابع[٢] Gregory VII (١٠٧٣م - ١٠٨٥م) ضمن أبرز رجال الكنيسة في العصور الوسطى بسبب دوره الرئيسي في حركة الإصلاح البابوي في منتصف القرن الحادي عشر وحتى أواخره[٣]، ولقد تم الاعتراف منذ فترة طويلة ببابويته كفترة تكوينية للتاريخ الأوروبي، تم فيها تكثيف ديناميكية الإصلاح البابوي وتوجيهها إلى اتجاهات جديدة، سواء من حيث الحد من الانحرافات الدينية أو تحويل بنية المجتمع المسيحي بشكل عام[٤].

ومع ذلك، يمكن القول إن جريجوري كان « بابا سياسيًا»، بالمعنى الأساسي المتمثل في أن الإصلاح البابوي كان له آثار سياسية واسعة، خاصة عندما تم استدعاء السلطة البابوية المتضخمة لتبريره، في حين قيل أن "الكهنوتية والملكية البابوية كانتا كذلك، نظرًا لاعتبارها وسائل مؤسسية لتحقيق غاية روحية أعظم"،

---

(1) Elliot, The Middle Ages in Brittan, p. 30; Hume, Brown: History of Scotland, p. 59.

نظير حسان سعداوي: تاريخ انجلترا وحضارتها في العصور القديمة والوسطى، دار النهضة، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٧٣.

(٢) وُلد هيلدبراند في حوالي عام ١٠٢٥، على الأرجح في جنوب توسكانا، لعائلة من الطبقة المتوسطة العليا لها صلات محتملة بروما. وفي واحدة من الذكريات الشخصية القليلة في رسائله البابوية - المحفوظة في السجل الأصلي في أرشيفيو سيجريتو ("الأرشيف السري") للفاتيكان - تذكر أنه نشأ في الكنيسة الرومانية تحت الحماية الخاصة للقديس بطرس "الأمير". من الرسل." التحق بمدرسة القصر في لاتران مع النبلاء الرومان قبل أن يواصل تعليمه بين شرائع سان جيوفاني أ بورتا لاتينا، وهي كنيسة جماعية بجوار كاتدرائية وقصر لاتران. كان أحد أساتذته هناك هو رئيس الأساقفة لورانس (لورانتيوس) من أمالفي، الذي اشتهر بمعرفته باللغتين اليونانية واللاتينية، وكان رئيس المجتمع هو الكاهن جون جراتيان، البابا المستقبلي جريجوريوس السادس (١٠٤٥-١٠٤٦). خدم هيلدبراند كواحد من قساوسة (مساعديه) ورافقه إلى المنفي في كولونيا (الآن في ألمانيا) بعد عزل البابا بسبب سيموني (دفع المال مقابل المنصب الكنسي) في مجلس سوتري في ديسمبر ١٠٤٦. (جراتيان أو، على الأرجح، زُعم أن أنصاره استخدموا الرشاوى لتأمين انتخابه.) أكمل هيلدبراند دراسته في مدرسة الكاتدرائية الشهيرة في كولونيا وبين شرائعها (رجال الدين والكهنة المرتبطين برئيس الأساقفة أو الأسقف) قبل أن يعود إلى روما في أوائل عام ١٠٤٩ بعد وفاة جريجوريوس السادس، بصحبة برونو تول، البابا المستقبلي ليو التاسع (١٠٤٩–٥٤)، ولمزيد من المعلومات، انظر:

https://www.britannica.com/biography/Saint-Gregory-VII

(3) Tivey, Defining Ideoloyin the Penlificate of Gregor VI, College of Arts and law, the University of Birmingham, December, 2011, p. 20.

(4) Tivey, Defining Ideology the pan ficate of Gregor VI, p. 20.

وعليه فإن دفاع جريجورى عن هذه المفاهيم استلزم إعادة هيكلة المجتمع المسيحي بطريقة "سياسية" للغاية[1].

ولنجاح جريجورى السابع في مساعيه لانتقال البابوية لمرحلة جديدة، ولتحقيق السمو لكرسي البابوية، اصدر البابا من جانبه قراراً رسميا عام ١٠٧٥م دون عرضه على مجمع مسكونى، عرف بـ" مراسيم الإرادة البابوية" Dictatus Papae، وقد تضمن هذا المرسوم عدة قرارات مهمة، منها على سبيل المثال:

- أن كنيسة روما قد أسسها الرب وحده
- بابا روما هو وحده الذى له الحق في أن يلقب بأب عالمى لكل الكنائس
- من حق بابا روما دون غيره سن وإصدار القوانين الجديدة
- من حق البابا عزل الأساقفة وتنصيبهم دون الحاجة إلى عقد أي مجمع لهذا الشأن[2].

ولذلك فإنه عندما ادعى دوق نورماندي تاج إنجلترا، حصل على البركة البابوية لمشروعه من البابا ألكسندر الثاني، تحت تأثير هيلدبراند Hildebrand، الذي خلف البابوية بنفسه باسم جريجوري السابع في عام ١٠٧٣م وكان هيلدبراند تجسيداً لتلك السياسة البابوية التي كانت تطالب نائب المسيح بالسيادة على جميع الحكام الزمنيين؛ لصوت كنيسة المسيح سلطة يجب أن تخضع لها كل السلطات الزمنية فقط؛ وبالنسبة للنظام الكهنوتي برمته، أي خدام المسيح المرسومون، وهو منصب مستقل عن الدولة العلمانية ومنفصل عن سلطتها القضائية[3].

كما كان جريجوري السابع يتمتع بفهم ذكي للحقائق السياسية وكان دائمًا على استعداد لأخذها بعين الاعتبار، بشرط أن تتناسب مع جهوده الإصلاحية، وتكثفت المطالبات الإقليمية البابوية بشكل ملحوظ، ولقد كان أول بابا يحاول الاتصال بكل حاكم في عصره، مؤكدا سيادة الرسول بطرس - أي البابوية - في عدة مناطق من أوروبا، لذا كان هذا أنجح مثال على استخدام الترتيبات الإقطاعية من قبل البابوية - على الرغم من جشع النورمانديين - هو التحالف مع الزعماء النورمانديين في جنوب إيطاليا، والذي تم إبرامه مع ريتشارد كابوا Richard I of Capua (١٠٤٩-١٠٧٨م) في عام ١٠٧٣م وروبرت جيسكارد Robert

---

(1) Tivey,M. R., Defining Ideology in the Pontificate of Gregory VI, M.ph, College of Arts and Law, The University of Birmingham, p.20.

(2) Davis, England under The Normans and Angevins(1066-1271), p 47; Hume, Brown: History of Scotland, p. 49.

مفيد الزيدي: موسوعة تاريخ أوروبا الحديثة والمعاصر (٤٧٦- ١٥٠٠م) دار النشر أسامة للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٩م، ص٢٤٦.

(3) Tivey, M. R., Defining Ideology in the Pontificate of Gregory VI, M.ph, College of Arts and Law, The University of Birmingham, p. 20.

Guiscard (١٠١٦- ١٠٨٥م) في عام ١٠٥٩م وتضمنت التزاماتهم الولاء للبابا وخلفائه الشرعيين وكذلك المساعدات العسكرية والمالية.[١]

وفي المقابل، أصبح البابا سيدهم الأعلى ومنحهم أراضي الإمبراطورية البيزنطية والإسلامية التي غزوها أو سيغزوها، في إسبانيا، وكرواتيا- دالماشيا، والدنمارك، والمجرHungary ومملكة كييف Kyiv ، وبريتانيBrittany ، وبولندا Poland، وبوهيمي Bohemia، وكذلك في إنجلترا England، حاول جريجوري تأكيد السيادة، ولكن دون جدوى في الغالب، لكن وليم الأول ملك إنجلترا، الذي دعمه في غزوه عام ١٠٦٦م، رفض القسم الذي طلبه جريجوري تمامًا، على الرغم من أنه استأنف الدفع الأنجلوسكسوني لبنس بيتر (المساهمة السنوية للبابا)[٢].

ونتيجة لذلك فقد كان بُعد إنجلترا دائمًا يمنع رجال الدين في إنجلترا من الشعور بأنهم مستسلمون عمليًا لنظام روما؛ وحصل الفاتح على تأييد البابوية جزئياً لأنه كان من المؤكد أن الانفصال الانعزالي لكنيسة إنجلترا سوف ينهار عن طريق ضخ عنصر لاتيني كبير، وعن طريق إدخال رجال دين فرنسيين وإيطاليين إلى المناصب العليا من نشأة داخل المجال، من النفوذ الروماني، وكان هذا أحد الآثار العملية للغزو، امتلأت الأساقفة والرئاسات الشاغرة برجال الدين الأجانب، الذين فرضوا الانضباط الأكثر صرامة الذي أصر عليه هيلدبراند وكل مدرسته[٣].

وللإجابة عن السؤال، فيمكن القول أنه كانت هناك أربعة أسباب مهمة لعدم تمتع الملك وليم روفوس بعلاقة جيدة مع الكنيسة:

أ. كان روفوس مهتمًا أكثر بجني المال من الكنيسة، وأعاد تقديم السيمونية[٤]، حيث أدى ذلك لصعود شخصيات عديدة لأماكن رفيعة، وكان أخطر هؤلاء هو المحامي الكنسي النورماندي ذو الأصل المنخفض، رانولف فلامبارد Ranulf

---

(1) Oestriech, T., The Personality and Character of Gregory VII in Recent Historical Research, The Catholic Historical Review, Vol. 7, No. 1, Apr., 1921, p. 39.

(2) Oestriech, T., The Personality and Character of Gregory VII in Recent, pp. 38-43

(3) Innes, A History of the Biritishnation: from the Earliest Times of the Present day, p57.

(٤) كانت الكنيسة تعاني من ثلاثة أمراض خطيرة, هي السيمونية وزواج رجال الدين والتقليد العلماني. أما السيمونية فالمقصود بها شراء الوظائف الدينية بالمال, وهو داء فشا فشوا خطيرا بين رجال الدين حتى وصل كثير من المجرحين وغير الصالحين الى المناصب الدينية الكبرى عن طريق المال, مما اضعف الكنيسة وشوه سمعتها. وهو مصطلح معناه المتاجرة بالأشياء والامور المقدسة نسبة الى سيمون الساحر، انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى - الجزء الأول – التاريخ السياسي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٣٤٢

Flambard بدفع مبلغ من المال ليصبح أسقف دورهام[١]، الذي لم يستطع أن يتباهى بأي لقب آخر غير رالف، حتى أطلق عليه روبرت لو دي سبنسر، وكيل الملك المنزلي، لقب فلامبارد، بسبب ابتزازاته، أو "الشعلة الآكلة" Devouring Flame، وهي الصفة الدامغة التي تم تمييزه بها فيما بعد، وقد مرت في التاريخ باعتبارها لقبه، اسم العائلة، كان هذا المغامر ابنًا لكاهن مغمور من بايو؛ وكانت والدته، التي ربما ورث منها قدراته، تتمتع بسمعة شريرة ساحرة[٢].

ومن ثم فقد استغل حب روفوس للمتعة لترتيب كل شيء بشكل استبدادي تحت سلطته الخاصة، ووجه العديد من الاتهامات والملاحقات الوقحة والمكيدة باسم الملك، حتى أنه كما تشير المصادر كان يعذب الناس ، ويحول ترانيم الكنيسة إلى مراثي بالممارسات الجديدة التي أدخلها إلى البلاد[٣].

ب. أخذ الملك وليم روفوس أرضًا من الكنيسة، وأصبح الأساقفة جزءًا من الهيكل العسكري الإقطاعي، فكان مطلوبًا من كل واحد إرسال عدد معين من الفرسان إلى جيوش وليم، تم نقل العدالة التي توفرها العديد من محاكم الكنيسة الصغيرة إلى عدد قليل من الأساقفة ويديرها رؤساء الشمامسة الذين كان على الأساقفة تعيينهم، كما احتفظ الملك وليم روفوس بالحق في نقض قرارات محاكم الكنيسة والاستماع إلى جميع القضايا التي يتعارض فيها الشخص العادي مع الكنيسة، ولقد تجنب تعيين رئيس أساقفة كانتربري جديدًا في عام ١٠٨٩م، من أجل الاستفادة من الأراضي التي كان يمتلكها لانفرانك،[٤]

ت. انتقدت الكنيسة أسلوب حياة الملك وليم روفوس، فربما كان مثليًا، وهو ما رفضته الكنيسة[٥]،

---

(1) The Chronicle of Florence of Worcester with the Two Continuations; Comprising Annals of English History from the departure of the Romans to the reign of Edward I. Translated from the Latin with notes and illustrations, Thomas Forester, H. G. Bohn, 1854, p. 25.

(2)Strickland, A. ,Lives of The Bachelor Kings of England, London, MDccclxi, p. 25.

(3) The chronicle of Florence of Worcester, with the Two Continuations; Comprising Annals of English History, p. 205, Strickland, Lives of The Bachelor Kings of England, p. 25.

(4) Strickland lives of the Bachelorkings of England, p. 25.

(5) Davis: England under The Normans and Angevins(1066-1271), p. 88, Elliot, Op. Cit, p. 30.

ث. تحدى وليم روفوس سلطة محاكم الكنيسة، حيث قام بمحاكمة وليم سانت كاليه William St Calais أسقف دورهام[١]، في محكمة علمانية عام ١٠٩٠م بسبب توجيه الاتهام له لمشاركته روبرت كورنثوس Robert Corinthians في التمرد ضد أخيه وليم روفوس، وبعد ثلاث سنوات في المنفي في نورماندي، تم العفو عن وليم سانت كاليه، وعاد ليأمر بهدم الكاتدرائية الأنجلوسكسونية في دورهام، وبدأ تشييد المبنى الحالي، مما يدل على أنه كان مصمم على السيطرة على الكنيسة[٢].

ثانيا: علاقة الملك وليم رفوس برؤساء الأساقفة:

١) علاقة وليم روفوس برئيس أساقفة كانتربري "لانفرانك":

كان أحد الآثار العملية للغزو ملئ الأماكن الشاغرة بالأساقفة والأديرة برجال الدين الأجانب، الذين فرضوا الانضباط الأكثر صرامة الذي أصر عليه هيلدبراند وكل مدرسته، وبهذه المناسبة تم عزل رئيس الأساقفة غير القانوني ستيجاند من كرسي كانتربري، وعُهد بإعادة تنظيم الكنيسة إلى خليفته، لانفرانك، الذي عينه وليم رئيسًا لدير كاين Caen قبل ثماني سنوات، كان وليم ولافرانك يفهمان بعضهما البعض جيدًا.

---

[١] تم تعيين الأمير الأسقف الأول في عام ١٠٧٥، وواصل وليام روفوس، ابن وليم الفاتح، هذا النظام بتعيين وليم سانت كاليه في عام ١٠٨١. ومع ذلك، كان وليم سانت كاليه قائدًا قويًا وأنشأ شيئًا يسمى البلاطين في دورهام. كانت منطقة بالاتين الخاصة به منطقة منفصلة تقريبًا، وهي نوع من المنطقة العازلة الدفاعية المحصورة بين إنجلترا ومنطقة نورثمبريا الحدودية الاسكتلندية التي غالبًا ما تكون خطيرة. كان لدى وليام سانت كاليه والأساقفة الآخرين الذين جاءوا من بعده، تقريبًا جميع السلطات داخل "مقاطعة بالاتين" التي كان يتمتع بها الملك في بقية إنجلترا، ولهذا السبب أطلق التاريخ على أساقفة دورهام القدامى اسم "الأمير". الأساقفة. وهكذا مُنح أساقفة دورهام صلاحيات تمكنهم من ذلك؛ - عقد برلمان خاص بهم، - إنشاء جيوشهم الخاصة، - تعيين عمداء وقضاة خاصين بهم، - إدارة قوانينهم الخاصة، - فرض الضرائب والرسوم الجمركية، - إنشاء المعارض والأسواق وسك العملات المعدنية الخاصة بهم. في الواقع، عاش الأمراء الأساقفة مثل الملوك في قلاعهم أو "قصورهم" في دورهام،ولمزيد من المعلومات حول وليام سانت ،انظر:

https://www.durhamworldheritagesite.com

[2] William of Malemsbury, Chronicle of the Kings of England , From the earliest period to the reign of King Stephen, trans by, Giles,J., H. G. Bohn, London, 1847, p. 336; Bernstein, M., A Bishop of Two Peoples: William of St. Calais and the Hybridization of Architecture in Eleventh-Century Durham, Journal of the Society of Architectural Historians,vol.77, 2018, p. 217.

ولم يكن لدى الملك ولا رئيس الأساقفة أدنى نية للتنازل لروما عن ذرة من سلطتهم في إنجلترا، ومهما كان توقع هيلدبراند، فإن الطلب البابوي بأن يعترف وليم بأنه يحتفظ بإنجلترا كإقطاعية لروما قوبل بالرفض المهذب ولكن غير المشروط، ولم يعترف وليم روفوس بأن الملك كان هو صاحب السيادة في سيطرته، وأنه لا ينبغي لأي رجل، سواء كان علمانيًا أو رجل دين، أن يطعن في سلطته أمام أي سلطة أخرى مهما كانت، مثل هذا الواجب الذي كان أسلافه على العرش الإنجليزي مدينون به للبابا، وهو أيضًا سيدفعه، ولكن ليس بشكل أكبر[١].

وتم ترشيح لانفرانك لمنصب رئيس الأساقفة كما ذكرت الباحثة أعلاه بمجرد خلع ستيجاند (ساكسوني) في ١٥ أغسطس ١٠٧٠م وتم تكريسه في ٢٩ أغسطس ١٠٧٠م وكانت علاقتة بالدولة على ما يرام، حيث لن نرى مثلها مرة أخرى في هذه الفترة، وأحضر لانفرانك أيضًا تلاميذًا مختارين بعناية من دير بيك في نورماندي على سبيل المثال ابن أخيه بول Bowle الذي أصبح رئيس دير سانت البانز St Albans Cathedral الذي أصبح أسقف روتشستر Rochester[٢]، وكان هدفه الأساسي أن يجعل الكنيسة عاملاً مهمًا في تأسيس الحكم النورماندي، لقد زودتها إعادة تنظيم الكنيسة الإنجليزية بوحدة وقيادة موحدة ساهمت في وحدة الدولة، كما ساعد التأكيد على سيادة كانتربري على يورك في تقليل خطر الانفصالية الشمالية.[٣]

ومن الشواهد الأخرى على حسن تعاونه على الرغم من أن لانفرانك قد أنشأ محاكم الكنيسة، إلا أن استعداده للسماح لمحاكمة أودو أسقف بايو (١٠٣٥-١٠٩٧م) Odo of Bayeux أمام هيئة محلفين غير رسمية، هو شهادة على علاقاته القوية للغاية مع وليم - فقد كان على استعداد لتقويض تشريعاته لإعطاء وليم ما يريد! وبالمثل، في محاكمة وليم سانت كاريليف (أسقف دورهام)، أصر لانفرانك على الرد على اتهامات وليم وعدم حماية نفسه من القانون الكنسي، كان وليم معجبًا بالطريقة التي استخدم بها لانفرانك الكنيسة للمساعدة في تأسيس الحكم النورماندي، وعلى هذا النحو دعم لانفرانك بشكل جيد، كما يتضح من النقاش حول الأسبقية[٤].

---

(1) Innes, A History of the British Nation: from the Earliest Times of the Present day, p. 57

(2) Innes, A History of the British Nation: from the Earliest Times of the Present day, p. 57

(3) Davis, H. W.: England under The Normans and Angevins(1066-1271), p. 48.

(4) Bernstein, M., A Bishop of Two Peoples: William of St. Calais and the Hybridization of Architecture in Eleventh-Century Durham, p. 217.

وإضافة لما سبق فإن وليم روفوس قد عاش فترة من فترات حياته في كنف ورعاية لانفرانك، حيث نال العديد من المزايا كما اشارت الباحثة سلفًا، حيث تمتع بمزايا تعليم أكثر تحررًا بكثير مما يمكن أن يتباهى به معظم معاصريه من الأمراء[١]، وقد تلقى تعليمًا دقيقًا في التقاليد الكلاسيكية، وجميع فروع التعلم في تلك الفترة، وكذلك استخدام الأسلحة؛ والركوب والإمالة وغيرها من تمارين القوة والمهارة الرجولية المطلوبة للأمير، وعندما اعتُبر تعليمه متقدمًا بدرجة كافية للسماح بدخوله ساحة الحياة العامة، حصل وليم على لقب فارس من قبل معلمه المبجل، وهو ما يتوافق تمامًا مع عادات تلك الفترة حيث يمنح رؤساء الأديرة وسام الفروسية وكذلك الأمراء والقادة العسكريين. [٢]

والجدير بالذكر أن لانفراك كان متمهلا في مسألة التتويج لسببين، الأول عدم وصول شك للأخرين أنه يحابى تلميذه، حيث إن تعيين وليم روفوس ملكًا يعني ترقية الرجل الذي كان على علاقة خاصة به، والذي كان إلى حد ما تلميذه، والذي ربطه بنفسه بحزام الفروسية، والسبب الثاني ألزم الملك الجديد الكنيسة من خلال التزام خاص باتباع مشورته في كل شيء[٣].

ومما لا شك فيه أن الشعور الإنجليزي في ذلك الوقت، كان لابد من اتخاذ قرار رسمي بين أبناء فاتح إنجلترا، حيث يتحدث باسم ابنه الأصغر، من بين الثلاثة، فهنري وحده هو Æthling الحقيقي، حيث مولده في الحجرة الملكية على الأرض الانجليزية، ومن ثم كان له وحده الحق في الحصول على اسم رجل إنجليزي؛ فقد كان وحده ابن ملك متوج ورجل مولود في الأرض، لكن الرغبة الأخيرة لوليم الكبير كانت أن ينتقل تاج جزيرته إلى وليم الأحمر، فهو لم يجرؤ، كما تمت الاشارة له من قبل، على تقديم أي ترشيح رسمي لملكة اكتشف في أيامه الأخيرة أنها ملكه فقط عن طريق الخطأ، ولم يجرؤ على تسمية وليم خلفًا له؛ وترك الملك في يد الله، وكان يأمل فقط أن تكون إرادة الله هي أن يحكم وليم، وأن يحكم بشكل جيد وسعيد[٤].

وهكذا أصبح وليم روفوس ملكًا، وإذا كان هناك أي شيء ينقص في طريق الانتخابات المنتظمة قبل تتويجه، فقد تم تعويضه بالكامل من خلال القبول العالمي والمتحمس له على ما يبدو عند تتويجه، "انحنى له جميع الرجال في إنجلترا

---

(1) The Chronicle of Florence of Worcester, with the Two Continuations; Comprising Annals of English History , p. 184

(2) Barlow, F. : The Feudal Kingdom of England 1042_1216 ,(London, 1974)., p. 28.

(3) Farrer, An outline itinerary of king Henry the First, Oxford, 1919, p. 19.

(4) The Chronicle of Florence of Worcester with the Two Continuations; Comprising Annals of English History, p.184

وأقسموا له القسم[١]، ولم يتأخر التكريس الرسمي لخليفته طويلاً؛ حيث تم تتويج الملك الجديد ومسحه رسميًا على يدي لانفرانك في كنيسة القديس بطرس، في ذلك اليوم، أمام مذبح الملك إدوارد، وأدى سيد إنجلترا النورماندي الثاني القسم الذي يربط الملك الإنجليزي بالشعب الإنجليزي، وإلى جانب الأيمان المقررة بالعدل والرحمة الدفاع عن حقوق الكنيسة[٢].

والجدير بالذكر أنه رغم روح الطمع والغطرسة التى كانت تسيطر على وليم روفوس، إلا أنه في بعض الأحيان كان مرنا في التعامل مع لانفرانك، الذى كان يرغب ايضا في كسب ود تلميذه الملك الجديد[٣]، حيث إنه على الرغم من تلك العلاقة الوردية، فقد أصر وليم على فرض سيطرته على جميع رعاياه، واحتفظ بحقه في تعيين الأساقفة وكبير الأساقفة؛ ليتأكد من ولائهم وطاعتهم له، وإن ترك تنفيذ كل ذلك في يد لانفرانك، وكان وليم يريد أن يؤسس كنيسة وطنية مستقلة، واستطاع إخراج الكنيسة الإنجليزية من حالة الركود، وكان يرى أن اصلاح الكنيسة لن يتحقق ذلك إلا بالتعاون مع لانفرانك، ومن هنا بدأ وليم هذا الاصلاح بقوانين الكنيسة؛ فقام بفصل المحاكم الكنسية عن المحاكم المدنية، وفي هذه المحاكم كان يسمح فقط للقضايا بأن يتم التعامل من منطلق القوانين الكنسية وقرارات ومراسم الأساقفة في مجالسهم، وكانت المجالس الكنسية إحدى السمات الخاصة بالحكم الكنسي[٤].

وكان رئيس الأساقفة مهتماً بترتيب الأمور وتنظيمها داخل الكنيسة لنشر نوع من الهدوء، واستمرار الاستقرار، والمودة في العلاقة مع الدولة ممثلة في الملك وليم الثاني، وكان من بين تلك الأمور التى اتخذها من جانبه جمع جميع مجالس الكنيسة الانجليزية في مجلس واحد، وهو ما ساعد على الوحدة، كما إن التشريعات التي تم تحريرها لم تكن جديدة، أو مضادة لقانون الكنيسة، كما كان في نورماندي مما سمح بدرجة من السلطة المعتاد عليها، وكل شيء كان تقليدياً ويسير كالمعتاد؛ لذلك كان على لانفرانك أن يذهب إلى روما لتلقي تعليمات البابا فيما يخص الكنيسة، وكان الملك وليم مستجيبا لهذا الأمر، ولم يمانع في ذهاب لانفرانك إلى روماوالتواصل مع البابوية، حيث أن وليم الثاني كان يأمل في تأييد البابوية

(1) Mowat, M.A, History of Great Britain from the Roman Conquest to the Present Day, press, 1926, p. 53.
(2) Lioyed, The Norman Conquest, London, 1967, p. 126.
(3) Strickland lives of the Bachelor kings of England, p. 18; Mowat, M. A: History of Great Britain from the Roman conquest to the present Day, p. 53.
(4) Lioyed, S., The Norman conquest, , p.1526; Mowat, M.A, History of Great Britain from the Roman conquest to the present Day, press, p.53.

للكنيسة الإنجليزية، وهو الأمر الذى سوف تعرضه الباحثة بشئ من التفصيل حينما تقوم بتناول علاقة الملك وليم الثاني مع البابوية. (١)

كما كان لانفرانك حريصا على العناية بشئون الكنائس والأديرة ومتابعة أمرهما بين الحين والاخر، وتم التشديد على نظم الكنيسة السائدة، وشجع على الدراسة والتعليم في الكنائس، وأصبحت القوانين الكاتدرائية تعمل على مراقبة الأسقفيات التي توجد في القرى، مثل دور شيتر ثم انتقالها إلى مدن آهلة بالسكان، وقام لانفرانك ببناء كنائس رائعة التشييد في كانتربري(٢).

ومثال اخر في هذا الصدد ، فقد كان نتيجة الفوضى التى نشأت لبعض الوقت بعد الاضطرابات التى احدثها روبرت في بداية حكم وليم الثاني، أن قام شخص يدعى إيف ودى تايلبوا Ivo de Taillebois بالاعتداء على الأملاك الخاصة بدير كرويلاند Croyland Abbey، نتيجة لهذا العدوان، انتقل إنجولفوس(٣) إلى كانتربري لاستشارة صديقه القديم رئيس الأساقفة لانفرانك، وطلب شفاعته لدى تلميذه الملكي، الملك الجديد وليمروفوس، ضد المفسد القوي للدير(٤)، استقبله لانفرانك بمودة، ووعد باستخدام نفوذه مع روفوس المعين لاسترداد الأملاك الذي تم الاستيلاء عليها بشكل غير قانوني من قبل جارهم القوي، إيفو دي تايلبوا، عند وفاة وليم الفاتح(٥)، وقد اشار عليه رئيس الأساقفة أن يختصر الحديث عند عرض مشكلته، لأن مزاج تلميذه الموقر غير الصبور معروفًا جدًا لدى لانفرانك لدرجة أنه لم يسمح لمؤرخ كرويلاند Crowland بالمخاطرة بإثارة شتائم غير لائقة، وبالفعل التزم رئيس الدير بما تلقاه من توصيات عند عرض المشكلة، والتي لاقت استحسان الملك، والذى اصدر الحكم لصالح الدير(٦).

ومن مظاهر العلاقات الطيبة التى ربطت بين لانفرانك والملك وليم روفوس أيضا، هي تأييد لانفرانك للملك ودعمه له في الأزمات السياسية التى تعرض لها، حيث أنه اثناء التمرد الذى قاده اودو اسقف بايو، ونجاحه في إغواء العديد من أقوى نبلاء روفوس، وخاصة أولئك الذين يمتلكون اقطاعيات في نورماندي، من ولائهم، واتحد معه وليم أسقف دورهام ، في ممارساته المثيرة للفتنة، وأعلن أن سلام إنجلترا ونورماندي لا يمكن ضمانه إلا من خلال كون كلا

(1) Strickland lives of the Bachelor kings of England, p. 18.
(2) Strickland lives of the Bachelor kings of England, p. 18
(3) Douglas: William the Congeror Duke and king in lough the Norman conquest, New york, 1966, p. 343.
(4) Strickland lives of the Bachelor kings of England, p. 18.
(5) Douglas, William the Congeror Duke and king in lough the Norman conquest, p. 343.
(6) Strickland, Lives of The Bachelor Kings of England, p.18.

المملكتين تحت سيادة واحدة، وبما أن حق البكورة ينتمي إلى روبرت، فسيكون من الصالح العام خلع روفوس ووضعه في السلطة[١].

وعندما وجد الملك وليم نفسه محاصرًا بشكل غير متوقع بالخيانة، وتم تحدي سلطته بشكل علني في جميع أنحاء مملكته، وانقطعت إمداداته من المقاطعات الشمالية، بسبب انشقاق أسقف دورهام، لكن عندما تواصل مع داعمه وسنده في هذه المحنة القديس لانفرانك تمكن من عقد مجلس وطنى، والذى نال خلاله دعم الكثير من الأساقفة والبارونات الذين ساندوه ودعموه بالمال والعتاد والمقاتلين، وكانوا سبباً مباشرًا في نجاحه في القضاء على هذا التمرد.

ومن الأمثلة التى توضح طبيعة العلاقة بين الملك روفوس ورجال الدين في انجلترا، وليم سانت كاليه، حيث شهدت تدخلات عدة ما بين شراء الوظائف وبخاصة الدينية منها "السيمونية"، والاقطاع الكنسى، واستخدم الملك سلطاته حسب ما يرغب هواه في معاملة رجاله كرجال دين، أو معاملتهم كبارونات، رغم أنهم رجال دين[٢].

وكان وليم سانت كاليه راهبًا نورمانديًا ، الذي كانت بداية حياته الدينية رئيساً لدير القديس فنسنتSaint-Vincent في لومان Le Mans في ولاية ماين، والذي رشحه الملك وليم الفاتح بعد الفتح النورمانى لانجلترا ليكون أسقف دورهام في عام ١٠٨٠م خلال فترة ولايته استبدل الأسقف سانت كاليه شرائع فصل كاتدرائيته بالرهبان، وبدأ بناء كاتدرائية دورهام، بالإضافة إلى واجباته الكنسية، وشغل منصب مفوض لكتاب الروك، وكان أيضًا مستشارًا لكل من الملك وليم الأول ومن بعده ابنه وليم الثاني، وبعد اعتلاء وليم روفوس العرش عام ١٠٨٧م، اعتبر العلماء أن سانت كاليه كان كبير مستشاري الملك الجديد وكان لانخراطه في العمل السياسى ودعمه لأودو اسقف بايو في تمرده ضد وليم روفوس سنة ١٠٨٨م سبباً في عزله من منصبه كرئيس لدير دورهام ونفيه إلى نورماندى[٣].

لكن سرعان ما تلقى العفو من الملك وليم الثاني روفوس في مطلع تسعينيات القرن الحادي عشر، ومارس سلطاته الدينية كأسقف لدير دورهام نظرياً دون فرمان ملكي، كما كان أحد المفاوضين لا قناع القديس أنسليم لتولى رئاسة كانتربرى، ولكن نتيجة وشاية انقلب عليه الملك وليم روفوس، وقرر تقديمه للمحاكمة تمهيدا للاستيلاء على أمواله وعزله من منصبه الديني كأسقف لدير دورهام. [٤]

---

(1) Davis H. W.: England under The Normans and Angevins(1066-1271), p 74.

(2) Strickland lives of the Bachelor kings of England, p. 11.

(3) Davis, H. W.: England under The Normans and Angevins (1066-1271), p. 74.

(4) Strickland lives of the Bachelor kings of England, pp. 62- 63.

ورغم مساعي ووساطات وليم سانت كاليه للحصول على العفو الملكي لكنه قوبل طلبه بالرفض، وصمم الملك على المحاكمة، فذهب الأسقف إلى الملك وصلى ليحاكمه كأسقفً في محكمة دينية، لكن كان رد الملك بأنه لن يوافق على المحاكمة إلا إذا ترافع الأسقف أمام محكمة عادية ، وإذا رفض المرافعة، فعليه العودة إلى دورهام، ثم طلب الأسقف من رئيس أساقفة يورك والأساقفة الحاضرين تقديم النصح له في هذا الشأن، لكن الأساقفة ردوا بأن الملك منعهم من نصحه، ثم ألح الأسقف على رئيس أساقفته لينصحه بحق كنيسته ونفسه.

لذلك قدم رئيس الأساقفة طلبًا إلى الملك بهذا الشأن، لكن الملك أبلغ الأسقف باستحالة ذلك، فطلب الأسقف نفسه من الملك أن يسمح له بمشورة رئيس أساقفته ورئيس الأساقفة والأساقفة أقرانه، لكن الملك رفض بإجراءات موجزة، ثم عرض الأسقف تطهير نفسه من تهمة الخيانة وعدم الولاء، لكن الملك رفض هذا العرض أيضًا، وعاد الأسقف إلى دورهام، وفي هذه الأثناء استولى الملك هناك على أكثر من ٧٠٠ رجل وغنائم كبيرة.[١]

والشيء الملاحظ هنا، أنه عشية حضور وليم سانت كاليه في العاشر من نوفمبر ١٠٩٥م للنظر في الالتماس الذى سبق وأن تقدم به أن لانفرانك وقف بجانب الملك وليم روفوس، وأيد قرارته ضد وليم سانت كاليه، وفي ذلك اليوم جاء الأسقف إلى سالزبوري، فقام الأسقف إلى المحكمة وطلب من الملك أن يعيد إليه أسقفيته التي سلبها منه منذ زمن طويل دون حكم، فلم يقل الملك شيئًا، لكن لانفرانك أجاب: " لم يأخذ الملك أي جزء من أسقفيتك، ولا يوجد أي رجل آخر تحت إمرته، ولم تر كتابه ينتقدك أو يأمرك بإلغاء أسقفيتك".[٢]

فأجاب الأسقف: «لا، ولكني رأيت رالف باينيل، وأراه هنا؛ وقد حرمني، بأمر من الملك، من أسقفيتي في يوركشاير بأكملها..." فأجاب لانفرانك: "الملك يستدعيك للدفاع عن نفسك، وقد أحضرك رجاله إلى هنا لتحقيق هذه الغاية؛! دافع عن نفسك أولاً، ثم اسأل ما تطلبه الآن." فقال الأسقف: يا سيدي رئيس الأساقفة، هل تقول ذلك على سبيل النصيحة أم على سبيل الحكم؟ قال: «على سبيل النصيحة بالطبع، ولكن إذا استمع لي الملك، فسوف يصدر حكمًا في هذا الأمر قريبًا»، عند هذه الكلمات من لانفرانك، زعيم إنجلترا كلها، ثار البارونات العلمانيون وصرخوا ضد الأسقف، مؤكدين أنه من المخالف للحق أن يجيب الملك على الأسقف قبل أن يبرر الأخير نفسه للملك[٣].

---

(1) Strickland lives of the Bachelor kings of England, pp. 62- 64.

(2) Davis H. W.: England under The Normans and Angevins (1066-1271), p 74.

(3) Davis: H. W.: England under The Normans and Angevins (1066-1271), p 75; Strickland lives of the Bachelor kings of England, p. 64.

وقال الأسقف: "الحكم الصادر هنا أرفضه، لأنه يخالف قوانيننا وشريعتنا... وبما أنني أعلم أنه بسبب كراهية الملك أنتم جميعاً ضدي، فإنني أتوجه إلى الكرسي الرسولي، في روما، إلى القديس بطرس ونائبه..." عندها أجاب رئيس الأساقفة لانفرانك: "نحن نحكم عليك بنفس الطريقة التى حكمنا بها على أسقف بايو أمام والد هذا الملك، ولمس رسومه؛ في تلك الدعوى لم يستدعه الملك كأسقف، بل كأخ له وإيرل»، أجاب الأسقف: «سيدي رئيس الأساقفة، لم أقل كلمة واحدة اليوم عن الأجر، ولم أقل إن لي أجرًا؛ لقد اشتكيت، وما زلت أشتكي، من دراسة أسقفيتي، أجاب رئيس الأساقفة: "ربما لم أسمعك تتحدث عن الرسوم، لكنني أعلم أنك دفعت رسومًا كبيرة، وقد حكمنا عليك على هذا الأساس"[١].

الجدير بالذكر أن العلاقة الودية بين التلميذ والاستاذ ظلت على الهدوء في العلاقة بين الدولة والكنيسة بشكل كبير، ولكنها تغيرت بعد وفاة لانفريك عام ١٠٨٩م، لرغبته في السيطرة على المنظومة الكنسية، ولم يعمل بالشروط المنظمة لاختيار رئيس الأساقفة في حالة فراغ منصبه نتيجة الوفاة؛ لأن المعتاد أنه في حالة فراغ منصب رئيس الأساقفة أو الدير أو الأسقف بسبب الوفاة، يصدر الملك أمرا بتعيين شخص ما في الحال لتولي المنصب الكنسي الشاغر، ولكن لم يطبق هذا البند عشية وفاة لانفرانك عام ١٠٨٩م، فبدلاً من تعيين شخص آخر مكانه ترك أسقفية كانتربري شاغرة لمدة أربع سنوات.[٢]

وبناء على هذا التصرف وضع سيطرته على الأراضي وعاملها على أنها ملكه، وهكذا أصبح من مصلحته إبقاء الكراسي شاغرة حتى يحصل على مبلغ كبير مقابلها، وانتشرت السيمونية وتراجعت شخصية رجال الدين، وانخرطوا في المساعي الدنيوية، وجمعوا الضرائب، وسعوا بكل الطرق لكسب المال[٣]، وبعد وفاة لانفرانك عام ١٠٨٩م، أبقى الملك رئيس الأساقفة شاغرًا، ومنح أراضي الكرسي لأصدقائه أو لمن يدفع أعلى سعر.

وكان هذا أمرًا مختلفًا عن تعاملاته مع الرؤى الأخرى؛ لأن رئيس الأساقفة كان الرأس الروحي للأمة، ودستوريًا المستشار الرئيسي للملك والعضو الأول في بلاطه[٤]، ورغم رأى البارونات الرافض لسلوك الملك باستياء، لم يتأثر روفوس بالجشع ، فأثناء حياة لانفرانك، كان مجبرًا على الاستماع إلى احتجاجاته باحترام، ولأنه كان يكره التوبيخ، قرر عدم تعيين رئيس أساقفة آخر طالما استطاع تجنب

(1) Strickland, Lives of The Bachelor Kings, p. 64

(2) William of New Burgh, Historia Rerum Anglicarum, Inchronicles of The Reigus of, Willam 1, Willam 11, Henrey 1 and Stephen, Trans. By Howlett, p. 14.

(3) Hunt, The English Church in the Middle Ages, p. 90.

(4)Palgrave, F.,: The History of Normand and England, Vol, III, London, 1864 , p. 81.

القيام بذلك، بل أعلن لأحد إيرلته أنه سيكون هو نفسه رئيس الأساقفة[١]، وكانت الكنيسة تحلم بالانتخاب دون أمره، وكل عام كانت حالة الكنيسة تسوء، وأخيرًا مرض روفوس وكان على وشك الموت، توسل إليه الأساقفة والأشراف من أجل نفسه أن يعين رئيسًا ويقوم بأعمال أخرى للتوبة [٢].

أجاب الأسقف: "يا سيدي رئيس الأساقفة، لقد علمت الآن أنك تجاهلت كل ما قلته، وفي محاولة أخيرة من سانت كاليه ليثنى لانفرانك عن تأييده الأعمى للملك وليم روفوس، طلب منه مراجعة كل ما قاله من مرافعات، وأن الملك لا يجب محاكمته كرجل دين في محكمة علنية وعلمانية أمام الجميع، وقال له أنك حكمت عليّ بناءً على معرفتك الخاصة وليس على العموم.

ولكن على الرغم من أنك بنعمة الله حكيم للغاية وذو سمعة عظيمة، إلا أنني أرى أن حكمتك في هذا عالية جدًا لدرجة أنك، واضاف قائلاً: إن ذكائي المتواضع لا يستطيع أن يستوعب ما يحدث؛ لكنني أرغب في الذهاب إلى الكرسي الرسولي، الذي لجأت إليه بالضرورة، بترخيص من الملك ومنك. و" قال رئيس الأساقفة: " اتركنا، وسيعلن لك الملك قراره بعد أخذ المشورة [٣]، وعندما غادر الأسقف الغرفة وتم استدعاؤه مرة أخرى، نهض هيو دي بومونت (١١٠٦- ١١٣٨م) Hugh de Beaumont وقال له: "سيدي الأسقف، وبلاط الملك وهؤلاء البارونات يحكمون بالعدل، بما أنك ترفض الرد على التهمة الموجهة إلى الملك من خلال استأنفتُك، وتحاول أن تتعدى الملك وليم واللجوء إلى الكرسي الرسولي في روما، وبذلك ستخسر أجرك[٤]، والملاحظ أن نهاية هذا الصراع كان السبب فيه وفاة وليم سانت كاليه عام ١٠٩٦م.وقد أوضحت تلك الأحداث أن لانفرانك كان مشارك بشكل فعال في سياسة وليم رفوس الدينية، التى كانت تأتى في غالبها على حساب رجال، وهو ما اتضح بشكل أكبر في تعين الداهية رانولف فلامبارد اسقفاً لدورهام خلفاً لسانت كاليه ليعم الفساد بشكل رهيب[٥].

---

(1) William of New burgh, Historia Rerum Anglicarum, Inchronicles of The Reigus of, Willam 1, Willam 11, Henrey 1 and Stephen, Trans. By Howlett, p. 25.

(2) Hunt, W. ,The English Church in the Middle Ages, London,1888,pp. 89-90; , pp. 75 – 81.

(3) Davis: H. W.: England under The Normans and Angevins (1066-1271), p 75; Strickland lives of the Bachelor kings of England, p. .

(4) Freeman, The Reign of Willim Rufus and the Accession of Henry the first, Clarendon, Oxford, 1882, Vol, II, , p. 33.

[٥] رانولف فلامبارد: أسقف نورماني لدورهام والوزير المؤثر في عهد الملك وليم روفوس، أصبح أول كبير للقضاة في انجلترا في عهد وليم روفوس، أشرف على بناء أو جسر حجري في لندن، كما أشرف على تشييد قاعدة الملك في قصر وتشستر ١٠٩٩م تمت مكافاته بتوليته أسقفية دورهام.

٣) علاقة وليم (روفوس) بالقديس أنسليم رئيس أساقفة كانتربري:

اضطر الملك وليم روفوس تحت وطأة المرض أن يستجيب للنداءات الخاصة بتعين اسقفاً جديداً لأسقفية كانتربري، وكان الاختيار من نصيب القديس أنسليم Saint Anselm (١٠٣٣-١١٠٩م)، الذي تصادف وجوده في إنجلترا، فحاول أنسليم أن يجادل بعدم أهليته للمنصب، لكنه وافق في النهاية[١]، بالإضافة إلى الاهتمامات النموذجية للمنصب، فقد تميزت فترة ولايته كأسقف كبير على كانتربري بصراع متواصل تقريبًا حول العديد من القضايا مع الملك وليم روفوس، الذي حاول ليس فقط الاستيلاء على أراضي الكنيسة ومكاتبها ودخلها، بل حتى الحصول عليها[٢].

Davis, H. W.: England under The Normans and Angevins (1066-1271), p . 88.

(1) Adams, G. B.: The History of England from the Norman Conquest to the death of John (1066-1216),, p. 95; Hum Brown: History of Scotland, p. 6.

(٢) ولد أنسليم عام ١٠٣٣ في أوستا ، وهي مدينة حدودية تابعة لمملكة برجوندي. وفي مراهقته قرر أنه لا توجد حياة أفضل من الحياة الرهبانية. سعى إلى أن يصبح راهبًا، لكن رئيس الدير المحلي رفض ذلك. ترك مسقط رأسه عندما كان شابًا، واتجه شمالًا عبر جبال الألب إلى فرنسا، ووصل في النهاية إلى بيك في نورماندي، حيث درس على يد اللاهوتي والجدلي البارز لانفرانك، الذي أدى تورطه في النزاعات مع بيرينجار إلى إحياء التكهنات اللاهوتية وتطبيق الفلسفة. الجدلية في الحجة اللاهوتية. في دير بيك، كرس أنسيلم نفسه للمنح الدراسية، ووجد في مرحلة الطفولة المبكرة انجذابًا إلى إيقاظ الحياة الرهبانية. غير قادر على الاختيار بين أن يصبح راهبًا في بيك أو كلوني، أو أن يصبح ناسكًا، أو أن يعيش على ميراثه ويقدم الصدقات للفقراء، فقد وضع القرار في أيدي لانفرانك وموريليوس، رئيس أساقفة روان، اللذين قررا أن أنسيلم يجب أن يدخل الحياة الرهبانية في بيك، والتي قام بها عام ١٠٦٠م.في عام ١٠٦٣، بعد أن غادر لانفرانك بيك متوجهاً إلى كاين، تم اختيار أنسيلم ليكون الأسبق. من بين المهام المختلفة التي قام بها أنسليم كما كان من قبل، كانت مهمة تعليم الرهبان، ولكن كان لديه أيضًا وقت للقيام بتمارين روحية صارمة، والتي من شأنها أن تلعب دورًا كبيرًا في تطوره الفلسفي واللاهوتي. وكما كتب كاتب سيرته الذاتية، إيدمر: "نظرًا لأنه كان مستسلمًا باستمرار لله وللتمارين الروحية، فقد وصل إلى قمة التأمل الإلهي لدرجة أنه كان قادرًا بمعونة الله على رؤية وكشف العديد من الأسئلة الأكثر غموضًا والتي كانت غير قابلة للحل سابقًا ...". أصبح معروفًا بشكل خاص، سواء في المجتمع الرهباني أو في المجتمع الأوسع، ليس فقط بسبب نطاق وعمق رؤيته للطبيعة البشرية، والفضائل والرذائل، وممارسة الحياة الأخلاقية والدينية، ولكن أيضًا لكثافة رؤيته. من عباداته وزهده في عام ١٠٩٢، سافر أنسيلم إلى إنجلترا، ليتولى بعد ذلك منصب رئيسالأساقفة، انظر:

Eadmer, Eadmeri Historia Novorum in Anglia, p.12, Thamrindinata,H., St. Anselm of Canterbury (1033-1109 AD): His Contributions to the Intellectual Developments on Medieval Scholasticism, Journal of Theology and Christian Education, a Vol. 2, No. 1, January 2020,pp.17-18.

ومما تجدر الاشارة إليه أنه قبل الخوض في الحديث حول طبيعة العلاقة بين الملك وليم روفوس وشخصية دينية عظيمة متمثلة في القديس أنسليم، كان حرياً بنا التعرف على فكر هذا الرجل العظيم.

كان القديس أنسليم من أهم المفكرين المسيحيين في القرن الحادي عشر الميلادي، وهو الأكثر شهرة في الفلسفة لأنه اكتشف ووضح ما يسمى بـ "الحجة الوجودية"، وفي اللاهوت لمذهبه عن الكفارة، غير أن عمله يمتد إلى العديد من الأمور الفلسفية واللاهوتية المهمة الأخرى، ومنها: فهم جوانب الطبيعة الإلهية ووحدتها، مدى معرفتنا وفهمنا للطبيعة الإلهية، والطبيعة المعقدة للإرادة ومشاركتها في الاختيار الحر، والتفاعلات بين إرادة الإنسان وعمله والنعمة الإلهية؛ طبيعة الحقيقة والعدالة؛ طبائع وأصول الفضائل والرذائل، طبيعة الشر كنفي أو حرمان، وحالة وآثار الخطيئة الأصلية، وفي سياق عمله وفكره، فقد كان على عكس معظم معاصريه؛ حيث أنه استخدم الحجج التي كانت في معظم النواحي تعتمد بشكل غير مباشر فقط على الكتاب المقدس، والعقيدة المسيحية، والتقاليد. (١)

كما قدم أنسليم تحليلات متطورة للغة المستخدمة في مناقشة وبحث القضايا الفلسفية واللاهوتية، مسلطًا الضوء على أهمية التركيز على معنى المصطلحات المستخدمة بدلاً من السماح لنفسه بالتضليل بالأشكال اللفظية، وفحص مدى كفاية اللغة إلى أهداف التحقيق، وخاصة إلى الطبيعة الإلهية، بالإضافة إلى ذلك، ناقش في عمله ومثل حل التناقضات أو المفارقات الظاهرة من خلال التمييز المناسب، لهذه الأسباب، لذا كانت أحد الألقاب الممنوحة له تقليديًا هو الدكتور المدرسي، نظرًا لأن منهجه في المسائل الفلسفية واللاهوتية يمثل ويساهم في المدرسة المسيحية المبكرة في العصور الوسطى(٢).

وكان شعار أنسليم هو "الإيمان يبحث عن الفهم" (fides quaerens intellectum) فهذا الشعار كان يفسح المجال لاثنين من سوء الفهم على الأقل، أولاً، اعتبر العديد من الفلاسفة أن هذا يعني أن أنسليم يأمل في استبدال الإيمان بالفهم، إذا أخذ المرء كلمة "الإيمان" على أنها تعني تقريبًا "الإيمان على أساس الشهادة" و"الفهم" على أنها تعني "الإيمان على أساس البصيرة الفلسفية"، فمن المرجح أن ينظر المرء إلى الإيمان باعتباره موقفًا دون المستوى المعرفي؛ حيث أنه من المؤكد أن أي فيلسوف يحترم نفسه يريد أن يترك الإيمان وراءه في أسرع وقت ممكن(٣).

---

(1) Sain Anselm, Compleze Works of Saint Anselm, Patristic publishim. 2019, pp.1- 3.

(2) Saint Anselm, Complete Works of Saint Anselm, Patristic Publishin, 2019, pp.1-2

(3) Saint Anselm, Complete Works of Saint Anselm, p. 2.

ثم يتم بعد ذلك تفسير البراهين الإيمانية على أنها الوسيلة التي نحصل من خلالها على رؤية فلسفية للأشياء التي كنا نؤمن بها سابقًا بناءً على الشهادة فقط، لكن أنسليم لا يأمل في استبدال الإيمان بالفهم، فالإيمان بالنسبة له هو حالة إرادية أكثر من كونه حالة معرفية: إنه محبة الله ودافع للتصرف كما يريد الله، في الواقع، ويصف أنسليم نوع الإيمان الذي "يؤمن فقط بما يجب أن يؤمن به" بأنه "ميت" ، لذا فإن عبارة "الإيمان يبحث عن الفهم" تعني شيئًا مثل "المحبة النشطة لله والسعي إلى معرفة أعمق بالله"[١].

وأما بقيَّة فلسفة «أنسليم» فمستمَدة من «القديس أوغسطين»، ومنه اكتسبت كثيرًا مما بها من العناصر الأفلاطونية؛ فهو مؤمن بالمُثُل الأفلاطونية، ومنها يستمد برهانًا آخر على وجود الله، وباستخدامه بعض الحجج «الأفلاطونية الجديدة» يزعم أنه لا يبرهن على وجود الله وحده، بل يبرهن كذلك على صحة «الثالوث» (ولنذكرْ أن أفلاطون كان له «ثالوث»، ولو أنه ليس مما يعدُّه المسيحي متمشيًا مع أصول دينه) [٢].

ومن ثم يعتبر «أنسليم » العقلَ خاضعًا للإيمان، فيقول في ذلك: «إنني أُومِن لكي أفهم»، فهو يتبع أوغسطين في العقيدة بأنه بغير إيمان يستحيل على الإنسان أن يفهمه، ويقول عن الله إنه ليس عادلًا ولكنه هو العدالة، ولنذكرْ أن «يوحنَّا الاسكتلندي» يقول أشياء كهذه، ومصدرهما المشترك هو أفلاطون، لذا فإن «القديس أنسليم» — اعتبر كسابقيه في الفلسفة المسيحية — يجري مع النزعة الأفلاطونية أكثر مما يتَّجه مع النزعة الأرسطية؛ ولهذا السبب تراه لا يتصف بالخصائص المميزة للفلسفة التي تُسمى «بالاسكولائية»، وهي الفلسفة التي بلغت ذروتها عند « توما الأكويني»، كما يمكن اعتبار « روسلين» هو البادئ بمثل هذا الضرب من الفلسفة، وقد كان معاصرًا لـ «أنسليم »، ولو أنه يصغر عنه بسبعة عشر عامًا؛ ولذا اعتبر أن «روسلين» يحدد بداية طريق جديد[٣].

كيفما كان الأمر فإن الأقدار ساقت أنسليم لزيارة إلى الأراضي الانجليزية، والتى وافقت في نفس الوقت وفاة هيرلوين، رئيس دير بيكفي Herluin of Bec عام ١٠٧٨م فتم انتخاب أنسليم، الذي كان يشغل منصبًا سابقًا، ليحل محله وتم إعداد المسرح له ليتبع طريق لانفرانك، وخلال السنوات التي قضاها في بيك، أصبح أنسليم معروفًا في كل من القارة وإنجلترا؛ حيث امتلك الدير مساحات واسعة من العقارات، كان محترمًا لرؤاه اللاهوتية التي كشفتها كتاباته، وكان محبوبًا لروحه الحساسة وأسلوبه اللطيف، لكن على الرغم من ذلك بعد وفاة لانفرانك عام ١٠٨٩م،

---

(1) Saint Anselm, Complete Works of Saint Anselm, p. 4.

[٢] برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية(الكتاب الثاني)،الفلسفة الكاثوليكية، ترجمة زكى نجيب محمود، مراجعة أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للعلوم والثقافة،القاهرة،٢٠٢٤م،ص ١٤٩-١٥٠.

[٣] برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية ص ١٥٠.

ترك وليم الثاني (روفوس) كرسي كانتربري مفتوحًا وتراكمت الالتزامات على التاج.[١]

وبرز خلال ذلك كما ذكرت الباحثة سلفاً كاهن وضيع المولد يُدعى رانولف إلى الساحة في بلاط الملك الأحمر، هذا الرجل الذكي، الأنانى والمفتقر إلى الضمير تمامًا، جهز نفسه لكسب قلب وليم من خلال اللعب على الجشع الذي لا يشبعه، والذي كان يتطلب دائمًا إمدادات جديدة من أجل ملذاته الجسيمة وغاياته الطموحة، فتم تعيين رانولف في منصب رئيس الوزراء، وهو المنصب الذي كان يشغله دائمًا أحد رجال الدين في تلك الأيام، ولم يتردد في أي شيء ينبغي أن يملأ خزائن الملك؛ حيث يقول المؤرخ: "بالثناء والابتزاز، لم يكتف بحلق ذقنه، بل سلخ جلد الشعب الإنجليزي".[٢]

لكن يده أثقلت كاهلها على الكنيسة التي تعهد لها ذات يوم بولائه وحبه، ولقد تم تدمير كل ما فعله لانفرانك لرفع نبرة رجال الدين من خلال منع شراء وبيع المزايا، ولم يُسمح لأي شخص بشغل أي منصب، في الكنيسة دون أن يدفعوا ثمنها، كما تعرض مستأجرو أراضي الكنيسة للقمع بشكل مخزي، وبالكاد كان رئيس الأساقفة لانفرانك في قبره قبل أن يكون رانولف داخل أبواب كنيسة المسيح، مطالبًا بوصف كامل لمصادر إيراداتها.[٣]

وبينما كان الرهبان الخائفون يسارعون إلى إطاعة أمر رسول هذا الملك، أبلغهم أنه من الآن فصاعدًا يجب دفع ضريبة على كل الطعام الذي يتم إحضاره إلى حرم الدير، وكذلك على جميع الأراضي التابعة له؛ ومن الآن فصاعدًا، كانت جميع الممتلكات المرتبطة بكرسي كانتربري تشكل جزءًا من الملكية[٤].

ونتيجة تلك التصرفات التى اتسمت بالطمع والانتهازية بدأ الناس في التذمر علنًا، ويتذكرون أيام رئيس الأساقفة لانفرانك، ويتمتمون بحزن أنه لن يكون هناك أمل مرة أخرى في إنجلترا إلا بعد أن جلس صديق لانفرانك وتلميذه في مقعده[٥]، وصل أنسليم إلى كانتربري في ٧ سبتمبر ١٠٩٢م وانطلق في صباح اليوم التالي

---

(1) Norgate, K. "The Date of Composition of William of Newburgh's History," English Historical Review, Vol, 1, 1904, p. 24; Barow William Rufus, p. 308.

(2) Rule, M., The Life and Times of St. Anselm Archbishop of Canterbury and Primate of The Britains,London,1883, pp. 316-317, The Reign of Willim Rufus and the Accession of Henry the first, Clarendon, pp. 307-308.

(3) http://www.heritage history.com

(4) https://www.heritagehistory.com

(5) Eadmer, Eadmeri Historia Novorum in Anglia, p. 55.

للقاء الملك قبل أن يتجه إلى تشيستر، يخبرنا إيدمر أن الرهبان في كانتربري رحبوا بأنسليم وأعلنوه على الفور رئيسًا للأساقفة، «كما لو كانوا يتنبأون بالمستقبل»[١].

وفي تصرف ايجابى للقضاء على تلك الأزمة استقبل البارونات الذين كانوا يراقبون الملك عن كثب رئيس الدير بأقصى قدر من الاحترام، وقادوه على الفور إلى القاعة الملكية، وما إن دخل حتى قفز روفوس نفسه أمام المنصة المرتفعة التي كان يجلس عليها، وأمسك بيده واحتضنه دافئًا، وقاده إلى الأريكة التي كان قد نهض منها للتو، ودخل في محادثة ودية في مواجهة وفاجأ أحد رجال حاشيته، وحافظ أنسليم على دوره لبعض الوقت، كما تقتضي المجاملة؛ لكنه كان يتمتع برؤية واضحة للغاية، على الرغم من بساطته الروحية، أو بالأحرى بسببها، بحيث لم يكن من الممكن أن يخدعه الملك، وكان يعرف جيداً سمعة الملك والبلاط؛ إذا كان وليم يميل إلى معاملته بحكمة ودية، فمن الواضح أن هذه كانت فرصته لمناشدة القلب والضمير وربما لإحداث تغيير في الروح[٢].

ورغم التقارب المصطنع بين الملك ورئيس الأساقفة، إلا أنه وضع شروط ثلاثة للموافقة النهائية لقبول منصب رئيس الأساقفة، حيث اشترط أن يكون المستشار الدينى للملك، والثاني استرداد كاتدرائية كانتربرى لكل املاكها التى كانت تابعة لها في عهد لانفراك، وتم الاستيلاء عليها عقب وفاته، أما الشرط الثالث وكان صعب بعض الشئ، وهو عدم الخروج عن طاعة البابا أوريان الثاني الذي سبق وأن اعترف به أنسليم في نورماندي، وهو ما يثير الجدل بلا شك لميول الملك وليم رفوس للبابا المنافس كلمنت الثالث Clement III[٣].

---

(1) Adam: The history of England from the Norman conguest to the Death of John 1066- 1260, New York, 1905, p. 95;

(2) Eadmer, Eadmeri Historia Novorum in Anglia,pp.55-56.

(٣) اسمه جيوبرت أو ويبرت أوف رافينا Ravana of Guibert ،ولد في بارما Parma سنة ١٠٢٥م، وكانت عائلته على صلة بكونتات كانوسا Canosa. انضم للبلاط الألماني بحلول عام ١٠٥٥ ،وعين كمستشار ، للإمبراطور هنري الرابع في إيطاليا. ساند كليمنت الثالث الإمبراطور هنري خلال صراعه مع البابا أوربان الثاني(١٠٨٨-١٠٩٩م). وحيال ذلك اضطر اوربان الثاني أن يتجه إلى جنوب ايطاليا بسبب احتلال قوات البابا كلمنت الثالث. كما قام البابا أوربان بإرسال خطابات إلى مؤيديه في إيطاليا وألمانيا والتي تحدث فيها عن العمل السياسي والديني واسع النطاق، وحرص على أهمية ان يظهر للجميع بأنه فعال البابا الشرعي الحاكم وظل الانقسام قائم بين الطرفين. كان كليمنت رجلاً ذكيًا ومبدئيًا سعى إلى اتخاذ مساره الخاص في الأوقات المعقدة سياسيًا. وعلى الرغم من اعتماده على دعم هنري، إلا أنه كان أكثر من مجرد بيدق في السياسة الإمبراطورية. من الواضح أن كليمنت تلقى تعليمًا جيدًا، وكان مسؤولاً عن بعض المعارضة الأكثر وضوحًا للإصلاحيين الجريجوريين، الذين عارض أساليبهم أكثر من أهدافهم. على سبيل المثال، أصدر كليمندس تشريعًا ضد زواج رجال الدين (النيقولية) والسيمونية في مجمع سينودسي في روما (١٠٨٩) ودعم الطائفية لرجال دينه. على عكس غالبية الإصلاحيين الجريجوريين، أكد كليمنت على أن أسرار الكهنة المنشقين ورسامات خصمه كانت صالحة. كان

كما أن روفوس لم يكن أحمق رغم طمعه، ولكنه تصرف بحكمة؛ حيث أنه كان يعلم أنه في تلك الأيام الجامحة المضطربة، عندما تم تقسيم الأرض بين مجموعة من البارونات الأقوياء، لم يكن عليه إلا أن يذهب خطوة أبعد ليجد نفسه منفيًا من أرضه، وأخيه الأصغر هنري على العرش، لم يحركه أي وخز ضمير، أو أي اعتبار لقداسة زائره، بل فقط اطماعه الشخصية، لأنه كان من الفطنة بما فيه الكفاية ليعلم أن الكثير من شعبه قد سئموا بشدة من سوء حكم المحكمة وترخيصها، وأن نفس الرجال الذين ابتهجوا بالضربة التي تلقاها الدين من خلال الاستيلاء على عائدات أراضي الكنيسة وفقدان الحكم العادل لرؤساء الأديرة والأساقفة، بدأوا يشتكون من التأثير الكبير على رفاهية الكنيسة(١).

ومن هنا كان "انتخاب" أنسليم الدرامي رئيسًا لأساقفة كانتربري عام ١٠٩٣ م بمثابة بداية علاقاته المضطربة مع ملوك إنجلترا المتعاقبين، وليم روفوس وشقيقه الأصغر هنري الأول (١١٠٠ م -١١٣٥م) في كل موقف كان أنسليم يشعر بأنه مضطر للذهاب إلى المنفي(٢)، كما كان انتخاب أنسليم موضوعًا لكثير من الجدل، وتأثرت قلوب الجميع بشكل رائع لمحبته، واستولى عليها جوع شديد لسماع كلماته، لأنه كيَّف كلماته لتناسب كل فئة من الناس، حتى أن سامعيه أعلنوا أنه لم يكن هناك شيء يمكن التحدث به أكثر ملاءمة لمكانتهم(٣).

وكان يخاطب الرهبان والكتبة والعلمانيين، ويرتب كلامه على أسلوب حياة كل منهم، وكان لرئيس كانتربرى، وفقًا لكاتب سيرته الذاتية، تأثيرًا كبيرًا على إنجلترا والنورمان الذين استقروا هناك، "وهكذا أصبح تقرير أنسليم الجيد معروفًا في كل جزء من إنجلترا وكان محبوبًا من قبل الجميع كرجل يحظى بالتبجيل لقدسيته، كل ذلك كان يثير الملك وليم الثاني روفوس مخافة صعود نجم ونفوذ

موقف كليمنت أكثر جاذبية من الناحية السياسية لأولئك العالقين بين الطرفين. وبنفس الطريقة تقريبًا، سمح لكرادته بمزيد من النفوذ، مما أجبر أوربان الثاني على فعل الشيء نفسه من أجل الحفاظ على ولائهم. ونتيجة لذلك، زادت أهمية مجمع الكرادلة خلال هذه الفترة، ولمزيد من المعلومات حول هذا الصراع، انظر:

The Chronicle of Florence of Worcester with the Two Continuations; Comprising Annals of English History, pp. 194-195, Yawn,L., Clement's New Clothes. The Destruction of Old S. Clemente in Rome, the Eleventh-Century Frescoes, and the Cult of (Anti)Pope Clement III, Reti Medievali Rivista,vol.13,No.1,2012,pp.175-179.

(1) Eadmer, Eadmeri Historia Novorumin Anglia, p, 57.

(2) Blak, An History of Brit liles second edition London Palgrave MacmillN, 2003, P. 42.

(3) Eadmer, Eadmeri Historia Novorumin Anglia, p. 57.

أنسليم بالصورة التى تهدد سيطرته على رأس الكنيسة فتحل عليه مشاكل وأزمات هو في غنى عنها[١].

ولقد حاول المخلصين أن يحثوه بشغف على حاجة البلاد إليه، والخير الذي سيفعله للدين في إنجلترا: فأجاب: "أعرف كل ذلك، لكنني لست الرجل المناسب لمثل هذا العمل، كوني عجوزًا وضعيفًا، أنا راهب"، وعلاوة على ذلك، انى لا أعرف شيئًا عن الأعمال الدنيوية، فلا تسعوا إلى جذبي إلى ما لم أحبه أبدًا وأنا الآن غير مؤهل له على الإطلاق[٢]، لقد قطع مشهد العنف الغريب توسلاته عندما وضعوا عليه الأيدي لإحضاره إلى سرير الملك، وكتب أنسليم فيما بعد إلى رهبانه: "سواء كانوا مجانين يجرون رجلاً عاقلاً، أو أن رجالاً عقلاء يجرون رجلاً مجنوناً ربما يكون هناك شك في ذلك"، وقال لآسريه بسخط، بكلمات غالبًا ما نتذكرها في الأيام اللاحقة: "ما الذي تبحثون عنه؟ إنكم تحاولون نير ثور صغير غير مكسور إلى خروف عجوز ضعيف[٣]، من المؤكد أن محراث الكنيسة يحتاج إلى زوج أفضل من ذلك"، الذي - التي".

ورغم توسلات وحجج أنسليم، تم إحضار عصا رعوية على عجل، وجرت محاولة لإجبارها على الإمساك بقبضته المغلقة[٤]، احتج أنسليم عبثًا قائلاً إن هذا لم يكن شيئًا مما فعلوه، وما زالوا يسحبون القس المكافح بالقوة، وأحضروه إلى الكنيسة المجاورة "ربما كنيسة قلعة جلوستر"، حيث غنوا على عجل أغنية تي ديوم فوقه وأقاموا خدمة تكريس مختصرة وسط نداء أنسليم شبه المحموم، وكثيرا ما يتكرر التحذير: "ليس هذا ما تفعلونه، ليس هذا ما تفعلونه"[٥].

ومع ذلك، كانت هناك أصوات معارضة، وكانت هذه الأصوات تنتمي إلى رهبان بيك، وهم أتباع أنسليم المخلصين بنفس القدر في نورماندي، والذين كانوا يخشون فقدان رئيس ديرهم ذو الشخصية الجذابة، وكان لرهبان بيك حق عاطفي ومؤسسي سابق على أنسليم، فأدرك الضيق الذي سببه رحيله، ومن ثم فإن قوة شعور رهبان بيك كان لها دور فعال في تشكيل شخصية أنسليم الكاريزمية، ولكن على الرغم من احتجاجهم، خضع أنسليم لإرادة الله، كما كتب في إحدى رسائله، ومن هنا تضافرت عليه مظاهر السلطة لتجعله واحدًا من أكثر الشخصيات تأثيرًا

(1) Blak,J., An History of British Liles second Edition London palgrave Macmillan 2003, p. 42.

(2) Adams ,G..B., The History of England from the Norman conguest to the Death of John 1066 – 1260, New york, 1905, p. 152

(3) Eadmer, Eadmeri Historia Novorumin Anglia, p 75 – 77.

(4) Arid, Saint Anselm of Canterbury and charismatic authority, religions, 2014, p. 15.

(5) Eadmer, Eadmeri Historia Novorum in Anglia,pp.75-77.

في عصره، ومع ذلك، ثبت أن منصبه كرئيس أساقفة كانتربري محفوف بالمخاطر[١].

أما حول ما ذكر من أقوال عن رفض أنسليم لمنصب رئيس الأساقفة، فيقول المؤرخ فيبر أن مصادر العصور الوسطى تشير إلى أن أنسليم كان مرشحًا واضحًا لخلافة لانفرانك في منصب رئيس الأساقفة [٢]؛ حيث كان معروفًا لدى التسلسل الهرمي للكنيسة الإنجليزية ووجد أتباعًا بين الطبقة الأرستقراطية العلمانية، حتى الملك أظهر له الاحترام وتسامح مع انتقاداته الأخلاقية، بالنسبة للكنيسة الإنجليزية، كان هذا وقت الأزمة، على الرغم من أن ما إذا كانت المسيحية نفسها معرضة للتهديد أمر مشكوك فيه، ويضيف أنه في لحظات الضيق غالبًا ما يظهر المنقذون ذوو الكاريزما كقادة طبيعيين يقدمون طريقًا للخروج من الأزمة، في مثل هذا الوقت العصيب، كانت الإرادة الجماعية للمجتمعات العلمانية والكنسية في إنجلترا هي أن يصبح أنسليم رئيس أساقفة كانتربري، و"لم يرتفع صوت واحد اعتراضًا"[٣].

على أية حال وافق أنسليم في النهاية على أن يصبح رئيس أساقفة كانتربري، وتم تكريسه للمنصب في ديسمبر من عام ١٠٩٣م وكان عليه أن يواجه التحديات التى خلفتها السنوات الشاغرة من عمر كنيسة كانتربرى[٤].

ومما تجدر الاشارة إليه أن أولى التحديات بدأت خلال الاجتماع الذى عقده الملك في جلوستر للتجهيز لغزو نورماندى، وكان منصبه في هذه المناسبة هو الوفاء بالعادة السائدة في تلك الأيام المتمثلة في تتويج الملك رسميًا، وأثناء الخدمة التي أقيمت لطلب البركة الإلهية على مداولاته، وكان الأسقف عند توليه منصبه، يدفع مبلغًا معينًا من المال يُطلق عليه "هيروت" للملك، مثل أي مستأجر رئيسي آخر، وتحول هذا إلى شيء يشبه إلى حد كبير "السيمونية"، أو شراء وبيع وظائف الكنيسة، لم تعد هذه العادة إلزامية، ولكنها استمرت عادة في شكل هبة طوعية[٥].

ومن ثم عندما أعلن الملك وليم عن حاجته الملحة لجمع الأموال من أجل غزوه المتوقع، عرض عليه أنسليم خمسمائة جنيه كمساهمة منه، لكن الملك الأحمر نظر إليها بامتعاض، ولمح بوقاحة إلى أنه لا يمكن أن يقبل أقل من ألف، وهو ما

---

(1) Arid,W., Saint Anselm of Canterbury and Charismatic Authority, Religions, 2014,vol. 5,p.105.

(2) Arid. W. Sant Anselm of Conterbury, , p. 106

(3) Weber, M., Economy and Society. An Outline of Interpretive Sociology. Edited by Guenther Roth and Claus Wittich. Berkeley, USA: University of California Press, 1968,p.122.

(4) Weber, M. Economy and Society, p. 22.

(5) Davis,. H. W.: England under The Normans and Angevins (1066-1271), P. 93 .

رفضه رئيس الأساقفة تمامًا، قائلاً إن أراضي كرسيه كانت بالفعل فقيرة جدًا بسبب مطالب الملك لدرجة أنه لن يسمح للمستأجرين أن يتعرضوا للقمع أكثر من ذلك، لكنه قرر أن يتفاهم مع الملك، ويطلب منه مقابلة شخصية، قال: "لا ترفض يا سيدي قبول عرضي"، "إنها الهدية الأولى لرئيس أساقفتكم ولكنها لن تكون الأخيرة له، سيكون من الأفضل لك أن تتلقى مبالغ صغيرة ومتكررة بروح الحرية الودية بدلاً من إجباري على دفع مبلغ كبير في ظل ظروف العبودية، فإذا تُركت حراً وبعلاقات ودية معك، يمكنك الحصول على كل ما تريده مني وبإرادتي، ولكن إذا تعاملت معي كعبد، فلن تحصل على شيء مني أو من إرادتي، أجاب روفوس بكلمات لطيفة ومعقولة ردًا قاطعًا: "احتفظ بحديثك وأموالك لنفسك، ولتُلقي عليها اللعنة؛ كلامي يكفيني، وأخرجك من المحكمة". عندها غادر أنسليم قائلاً بهدوء لزملائه إنه ينوي إعطاء الخمسمائة جنيه للفقراء[1].

أما الأزمة التالية فقد ظهرت على مسرح الأحداث عندما اقترح وليم روفوس أن يحصل أنسليم على الباليوم pallium [2] من كليمنت، وهو ما رفض

---

[1] Regesta Willelmi Conquistoris et wilhelmi Rufi , edited by H. W. Davis, Oxford,1913,pp. 91-92.

[2] "الباليوم: هو عبارة عن ثوب طقسي يرتديه البابا ورؤساء الأساقفة وبعض الأساقفة في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية فوق الكنيسة. يمنحها البابا لرؤساء الأساقفة والأساقفة الذين يتمتعون بسلطة حضرية كرمز لمشاركتهم في السلطة البابوية. وهو مصنوع من شريط دائري من صوف الحمل الأبيض يبلغ عرضه حوالي خمسة سنتيمترات (بوصتين) ويوضع فوق الكتفين. شريطان عموديان، يمتدان من الشريط الدائري في الأمام والخلف، يمنحان الباليوم مظهرًا على شكل حرف Y. ستة صلبان، واحد على الصدر والظهر وعلى كل كتف وشريط، يزين الرداء. استخدام الباليوم مقصور على البابا ورؤساء الأساقفة ، ولكن لا يجوز للأخيرين استخدامه إلا بعد الحصول على إذن من الكرسي الرسولي . يحصل الأساقفة أحيانًا على الباليوم كعلامة لصالح خاص، لكنه لا يزيد من صلاحياتهم أو صلاحياتهم ولا يمنحهم الأسبقية. يجوز للبابا استخدام الباليوم في أي وقت. يمكن للآخرين، حتى رؤساء الأساقفة ، استخدامه فقط في أبرشياتهم ، وهناك فقط في الأيام والمناسبات المحددة في "البابوية" (عيد الميلاد ، والختان، والأعياد الكبيرة الأخرى المحددة؛ أثناء منح الأوامر المقدسة ، وتكريس رؤساء الدير ، وما إلى ذلك)، ما لم يتم تمديد استخدامه بامتياز خاص. يرمز الباليوم، الذي يرتديه البابا ، إلى plenitudo pontificalis officii (أي ملء المنصب البابوي)؛ يرتديه رؤساء الأساقفة ، وهو يرمز إلى مشاركتهم في السلطة الرعوية العليا للبابا ، الذي يتنازل لهم عن مقاطعاتهم الكنسية المناسبة. لذلك، لا يجوز لرئيس الأساقفة ، الذي لم يتسلم درع التثبيت، أن يمارس أيًا من وظائفه كمتروبوليت ، ولا أي امتيازات حضرية على الإطلاق؛ حتى أنه ممنوع من القيام بأي عمل أسقفي حتى يتم غرسه بالباليوم. وكذلك لا يجوز له بعد استقالته استعمال الباليوم. إذا تم نقله إلى أبرشية أخرى. يجب عليه مرة أخرى أن يطلب من الأب الأقدس الحصول على الباليوم. في حالة الأساقفة ، استخدامه زخرفي بحت. يتم مباركة الباليوم الجديد رسميًا بعد صلاة الغروب الثانية في عيد القديسين. يتم الاحتفاظ ببطرس وبولس في تابوت خاص مطلي بالفضة بالقرب من Confessio Petri حتى يتم طلب ذلك. يتم منح الباليوم في روما من قبل الكاردينال الشماس ،

أنسليم القيام به، وبناءً على ذلك، ادعى الملك أنه من حقه أن يمنح الرداء لرئيس الأساقفة المعين حديثًا[١]، مرة أخرى، رفض أنسليم، مؤكدًا أن أوربان الثاني ليس البابا الشرعي فحسب، بل إن تعيين مسؤولي الكنيسة هو من اختصاص الكنيسة وليس من اختصاص الملك[٢]، بعد رفض الإذن لأنسليم بالسفر إلى روما لاستلام الباليوم.

وعلى كلٍ فقد كان من المعتاد أن يقوم كل رئيس أساقفة بزيارة روما لاستلام "الشارات" الخاصة به خلال عام من تكريسه، كعلامة على اعتراف الكنيسة ككل به[٣]، اقترح وليم روفوس على القديس أنسليم أن يقوم باستلام الباليوم من البابا كليمنت الثالث، وهو ما قوبل بالرفض التام من القديس أنسليم القيام به[٤]، وبناءً على ذلك ادعى الملك وليم روفوس أنه من حقه أن يمنح الرداء لرئيس الأساقفة المعين حديثًا، ومرة أخرى رفض أنسليم ، مؤكدًا أن أوربان الثاني ليس البابا الشرعي فحسب، بل إن تعيين مسؤولي الكنيسة هو من اختصاص الكنيسة وليس من اختصاص الملك، ولا شك أن روفوس كان يبحث عن عذر ما لطرد رئيس الأساقفة من كرسيه، وبدت هذه فرصة مناسبة؛ لكنه أخطأ رجله، لم يمض وقت طويل حتى تخلى أنسليم عن المسؤولية التي قبلها عن غير قصد، لقد أثير سؤال كبير، حول مسألة الاعتراف بأي بابا في إنجلترا على الإطلاق، فبينما كان أوربان يرفض الاعتراف بمنافسه؛ وطالب رئيس الأساقفة على الفور بعقد اجتماع للمجلس الكبير للنظر في الأمر[٥].

وخارج روما من قبل أسقف ؛ وفي كلتا الحالتين يتم الاحتفال بعد الاحتفال بالقداس وأداء قسم الولاء .انظر:

https://www.newadvent.org

(1) Hume, Hume Brown: History of Scotland, p. 60; Freeman, The Reign of Willim Rufus and the Accession of Henry the first, Clarendon, p. 33.

(2)Adams, G. B.: The History of England from the Norman Conquest to the death of John (1066-1216),, pp. 96- 98.

(3) Garnet, The origins of the crown, British Academy, 1996, p. 174.

(4)Caroline,S., 'The manner of life of Anselm, a man beloved of God': Saint Anselm's legacy in historical and hagiographical writing connected to Christ Church, Canterbury and the abbey of Bec c.1080- c.1140, phD, Department of History, Durham University,2017, p. 224.

(5) Caroline,S., 'The manner of life of Anselm, a man beloved of God': Saint Anselm's legacy in historical and hagiographical writing connected to Christ Church, Canterbury and the abbey of Bec c.1080- c.1140, pp. 224-227, Garnett, G., The Origins of the Crown, Britsh Academy,1996, p. 174.

راجع ايضا:

وسعيا منه لحل تلك المشكلة، قام الملك وليم روفوس بالدعوة لعقد مجمع روكينجهام أوائل عام١٠٩٥م، وكان روكينجهام عبارة عن مبنى منعزل على الحدود بين غابات ديربيشاير العظيمة ونورثامبتونشاير، بناها وليم الفاتح لمراقبة الولاء المشكوك فيه لعمال الحديد في المنطقة، وهم "طبقة بربرية غريبة من الرجال[١]، وكانت هذه حلقة مهمة في علاقات الكنيسة والدولة في العصور الوسطى، حاول مجلس روكينجهام لحل مسألة الولاء المنقسم وحث أنسليم على الامتثال للإرادة الملكية، ابتعد الملك مع المقربين منه عن المجمع الذي انعقد بعد القداس في كنيسة القلعة يوم الأحد الثالث من الصوم الكبير[٢]

وعرف أنسليم منذ البداية أن شعور الحاضرين كان ضده، وأن معظم الأساقفة كانوا إلى حد كبير "رجال الملك"، لم يكن هذا أمرًا مفاجئًا له، وعلى الفور عرض عليهم صعوبة الجمع بين الولاء لنائب القديس بطرس والملك الذي قال بوضوح: " تأكد أنه لن يكون لك أي نصيب في مملكتي إلا إذا أثبت لي أنك ترفض حسب رغبتي"، كل الخضوع والطاعة لأوربان."

وأشار إلى أن احتقار البابا وإنكاره أمر خطير؛ والشيء الخطير بنفس القدر هو كسر إيمانه بالملك، " لكن هذا أيضًا أمر خطير، وهو أنه من المستحيل بالنسبة لي أن أحتفظ بأحدهما دون أن أكسر الآخر"، وفي وسط هذه العاصفة، قال أنسليم " أعتقد أنه لا يوجد شيء أكثر أمانًا بالنسبة لي للقيام به في هذا الوضع الخطير سوى أن أضع حكمي وإرادتي جانبًا وأسلم نفسي تمامًا لحكم الله وإرادته"[٣].

وعاد على الفور إلى مقعده في الكنيسة، حيث انقسم المجلس إلى مجموعات صغيرة لا تزال في نقاش غاضب ومربك؛ لأن النقطة المثارة قد تجعلهم على غير

نور الدين حاطوم: تاريخ العصر الوسيط في أروربا، ج١، دار الفكر العربي، دمشق، ١٩٨٢م ص٧٨٣.

(1) Adams, G. B.: The History of England from the Norman Conquest to the death of John (1066-1216),, p. 96,

راجع ايضا:

نور الدين حاطوم: تاريخ العصر الوسيط في أروربا، ج١، دار الفكر العربي، دمشق، ١٩٨٢م ص٧٨٣.

(2) Eadmer, Eadmeri, Historia Novorum in Anglia, p. 58; Southern, R.W., Saint Anselm: Aportra, in landscape Cambridge university press, 2004, pp. 247-248.

راجع ايضا:

نور الدين حاطوم: تاريخ العصر الوسيط في أروربا، ج١، دار الفكر العربي، دمشق، ١٩٨٢م ص٧٨٣.

(3) Eadmer, Eadmeri Historia Novorum in Anglia,p.58, Southern, R.W., Saint Anselm: A Portrait in a Landscape, Cambridge University Press, 2004, pp. 247-248.

قصد في خرق صريح للسلطة البابوية [١]، وتم إلقاء اللوم على أنسليم باعتباره شخصًا غير مخلص ومزعجًا للسلام العام ومحاولًا تدمير قوة التاج واستقلاله، "فليؤكد حريته، فليتحرر، كما أصبح رئيس أساقفة كانتربري، من أي تدخل أجنبي، وسيكون كل شيء على ما يرام"، في هذه الأثناء اتخذت الأمور منعطفا مفاجئا، بعد حرمانه من حماية الملك، قرر أنسليم أن قراره الأكثر حكمة هو مغادرة المملكة، إما لأن سلامته الشخصية كانت على المحك، أو كما يبدو أكثر احتمالًا، لتسوية مسألة "الباليوم" بالذهاب مباشرة إلى روما.

لذلك قام بالمطالبة بالذهاب بأمان إلى أقرب ميناء بحري، لكن هذا كان آخر ما أراده الملك وليم، لأن أنسليم سيظل في حيازة رئيس أساقفته، علاوة على ذلك، ستشكل معاملة الملك له عذرًا ممتازًا لروبرت النورماندي، أو فيليب الأول (١٠٥٩- ١١٠٨م) Philip I ملك فرنسا، أو البابا أوربان الثاني (١٠٤٢- ١٠٩٩م) Urban II نفسه لتبني قضيته[٢].

وبالنظر للأحداث وتحليلها، نجد أن العلاقة تأخذ مسار الخلاف وعدم اقتراب وجهات النظر بين الملك وليم والقديس أنسليم، لتمسك كل منهما برؤيته الخاصة وأسبابه الشخصية فيما يتعلق بعلاقة كل منهما بالبابوية التى تعانى هي الأخرى حالة من التنافس والشقاق بين كل من اوربان الثاني وكلمنت الثالث، خاصة وأن الملك كان مصمم أن يكون التتويج عن طريقه، حتى لا يكون هناك سطوة كنسية على علمانية الدولة ، ومع تدهور علاقته مع الملك وليم روفوس، على الجانب الاخر واجه أنسليم معارضة متزايدة من أولئك الذين رأوا فيه فرصة لاستعادة ثروات الكنيسة الإنجليزية، ومع كل أزمة، كانت قوة سلطة أنسليم الكاريزمية تتضاءل، باستثناء سمعته العلمية، لذلك لم يفرق هذا الأمر كثير عند من كانوا متشددين في نصرة وتأييد أنسليم، ولذلك لم تشر أى من المصادر المعاصرة على وجود احتجاج شعبي على معاملته على يد الملك وليم روفوس. [٣]

وفي تلك الاثناء رأى الملك وليم روفوس أنه من الضرورى أن يجد حل لإنهاء تلك المسألة، لأن اطالتها سوف تعود بالمشاكل على كل الاطراف، فاهتدى

---

(1) Southern , Sant Anselm, o. 426. Davis, H. W.: England under The Normans and Angevins (1066-1271), pp. 95- 96; Adams, G. B.: The History of England from the Norman Conquest to the death of John (1066-1216), p. 97.

راجع ايضا:
نور الدين حاطوم: تاريخ العصر الوسيط في أروربا، ج١، دار الفكر العربي، دمشق، ١٩٨٢م ص٧٨٣.

(2) Southern, Saint Anselm,pp.426-427.

(3) Davis, H. W.: England under The Normans and Angevins(1066-1271),, p. 96; Southern, R.W., Saint Anselm: A Portrait in a Landscape, p. 427.

إلى فكره أن يتواصل مع البابا اوربان الثاني، خاصة بعدما شعر أن نجمه أخذ في الصعود مع انتشار الدعوة للحركة الصليبية، والتي أخذ صيتها ينتشر في أرجاء القارة، إلى جانب أنه في حالة نجاح المباحثات مع البابا اوربان الثاني واحضار الباليوم إلى انجلترا وتشريفه بوضعه على رأس وجسد أنسليم، فيعد انتصار له وفضل على أنسليم، فقد كانت فكرة ذكية، لأن استلام الشعار المقدس من يدي الملك سيكون بمثابة اعتراف صريح بسيادته في الأمور الروحية والزمنية على حد سواء[١].

أما بالنسبة للمبدأ المعني، فلم يكن لدى وليم أي مبدأ خاص به، وكان يعتقد أن المشكلة برمتها كانت تتعلق فقط بنقطة فارغة من الطقوس التي أراد أنسليم تأكيد أهميته الخاصة عليها، والملاحظ أن كل ما كان يقوم به الملك وليم روفوس من مراسلات مع البابا اوربان الثاني كانت دون علم لدى القديس أنسليم، الذى انزوى لبعض الوقت حتى تهدأ العاصفة وحتى لا تودى به.[٢]

وما أن انتهت قضية التنصيب حتى حلت قضية جديدة لتعيد التوتر بين الرجلين مرة أخرى؛ فقد نشأت مشاكل جديدة في عام ١٠٩٧ م عند عودته من حملته الويلزية غير الفعالة؛ حيث قام الملك وليم برفع دعوى ضد رئيس الأساقفة فيما يتعلق بالوحدة التي قدمها وطلب منه مواجهة هذه التهمة في بلاط الملك، فرفض أنسليم وطلب الإذن بالذهاب إلى روما، فتم رفض ذلك، ولكن بعد اجتماع في وينشستر طُلب من أنسليم أن يكون جاهزًا للإبحار خلال عشرة أيام، وعند فراق الملك، أعطاه رئيس الأساقفة مباركته، التي استقبلها وليم برأس منحني، في سانت أومير، في وجود عدد كبير من الأشخاص، تم قضاء عيد الميلاد في كلوني، وبقية الشتاء في ليون[٣].

وفي الربيع استأنف رحلته وعبر جبل سينيس مع اثنين من رفاقه، وكلهم كانوا يسافرون كرهبان بسطاء، في الأديرة وهم في طريقهم، سُئلوا كثيرًا عن أخبار أنسليم، عند وصوله إلى روما، عامله البابا بشرف عظيم، وتم النظر في قضيته وعرضها على المجلس، ولكن لا يمكن فعل أي شيء سوى إرسال خطاب احتجاج إلى الملك وليم أثناء إقامته في إيطاليا، واستمتع أنسليم بضيافة رئيس ديرتيليز، وقضى الصيف في قرية جبلية تابعة لهذا الدير.[٤]

---

(1) Davis, H. W.: England under The Normans and Angevins(1066-1271), p. 99; Adams, G. B.: The History of England from the Norman Conquest to the death of John (1066-1216), p. 102.
(2) Hume, Brown: History of Scotland, p. 60.
(3) Davis, H. W.: England under The Normans and Angevins(1066-1271), p. 110.
(4) Ibid, p. 108.

وتم عرض قضيته أيضًا أمام هذا المجلس، والذي كان سيحرم الملك وليم كنسيًا لولا شفاعة أنسليم له، كان هو ورفاقه يرغبون الآن في العودة إلى ليون، ولكن طُلب منهم انتظار عمل مجمع آخر سيعقد في اللاتيران في عيد الفصح. هنا سمع أنسليم القوانين، ومرسوم الحرمان الكنسي ضد الجناة ، فكان لهذا الحادث تأثير عميق على حياته المهنية في إنجلترا، ومكث أنسليم خارج انجلترا حتى وفاة وليم روفوس في الثاني من اغسطس عام ١١٠٠م.

هنا أنهى عمله "Cur Deus Homo" الذي بدأه في إنجلترا ، في أكتوبر ١٠٩٨م، وعقد أوربان مجلسًا في باري للتعامل مع الصعوبات التي أثارها اليونانيون فيما يتعلق بموكب الروح القدس، وهنا دعا البابا أنسليم إلى مكان شرفي وأمره بأخذ الدور الرئيسي في المناقشة، وقد التزمت حججه بعد ذلك بالكتابة في أطروحته حول هذا الموضوع. (١)

خاتمة البحث:

ومن خلال ما سبق يتضح أنه كان للنشأة والتربية دور مؤثر في السلوك العام والمكون لشخصية وليم روفوس وعلاقته بالكنيسة والبابوية ورؤساء الأساقفة؛ حيث كان يُنظر إلى وليم الثاني على نطاق واسع على أنه مسرف، وبما أنه وصل فجأة وغير مستعد إلى ثروة كبيرة بعد سنوات من الفقر النسبي في منزل والده، فقد كان ذلك متوقعًا، لقد أنفق، حتى لو كان ذلك لأسباب وجيهة، ما اكتنزه والده الجشع البخيل، ثم نظر حوله بشغف للحصول على المزيد، ولكن، ربما مرة أخرى لأن ميراثه كان غير متوقع، فقد أحكم قبضته على ممتلكاته، وعلى الرغم من إهماله بشأن الخلافة، إلا أنه زاد من الملكية بدلاً من تبديدها، وقد اتهمه المؤرخون بقمع الكنيسة والفلاحين من أجل ذلك، وعليه كانت سياسة وليم الثاني روفوس تجاه الكنيسة واضحة منذ البداية، فرض السيطرة عليها، وذلك من خلال اضعافها من الداخل، وحرمانها من الموارد المالية، شغر المناصب الدينية الكبرى "كبير الأساقفة" للسيطرة عليها اداريا وماليا، تشجيع السيمونية لإضعافها من الداخل.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر والمراجع:

1. Bede, Ecclesiatical History of the English National, New York 1956.
2. The Chronicle of Florence of Worcester with the Two Continuations; Comprising Annals of English History from the departure of the Romans to the reign of Edward I. Translated from the Latin with notes and illustrations, Thomas Forester, H. G. Bohn, 1854.

(1) Hume, Brown: History of Scotland, p. 60.

3. The Chronicle of Florence of Worcester with the Two Continuations; Comprising Annals of English History, pp. 194-195, Yawn,L., Clement's New Clothes. The Regesta Willelmi Conquistoris et wilhelmi Rufi , edited by H. W. Davis, Oxford,1913.
1. William of Malemsbury, Chronicle of the Kings of England , From the earliest period to the reign of King Stephen, trans by, Giles,J., H. G. Bohn, London, 1847.
4. William of New burgh, Historia Rerum Anglicarum, Inchronicles of The Reigus of, Willam 1, Willam 11, Henrey 1 and Stephen, Trans. By Howlett.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

2. Adams, G. B.: The History of England from the Norman Conquest to the death of John (1066-1216), London. 1905.
3. Arid, W., Saint Anselm of Canterbury and Charismatic Authority, Religions, vol. 5, 2014.
4. Barlow, F. : The Feudal Kingdom of England 1042_1216 , London, 1974.
5. Bernstein, M., A Bishop of Two Peoples: William of St. Calais and the Hybridization of Architecture in Eleventh-Century Durham, Journal of the Society of Architectural Historians, Vol.77, 2018.
6. Blak, An History of Brit liles second edition London Palgrave MacmillN, 2003.
7. Caroline,S., 'The manner of life of Anselm, a man beloved of God': Saint Anselm's legacy in historical and hagiographical writing connected to Christ Church, Canterbury and the abbey of Bec c.1080- c.1140, phD, Department of History, Durham University, 2017.
8. Davis, H. W.: England under The Normans and Angevins(1066-1271),New York,1905.
9. Destruction of Old S. Clemente in Rome, the Eleventh-Century Frescoes, and the Cult of (Anti)Pope Clement III, Reti Medievali Rivista,vol.13,No.1, 2012.
10. Douglas: William the Congeror Duke and king in lough the Norman conquest, New york, 1966, p. 343.
11. Elliot: The Middle Ages in Brittan, Cambridge, 1930.

12. Farrer, An outline itinerary of king Henry the First, Oxford, 1919.
13. Freeman, The Reign of Willim Rufus and the Accession of Henry the first, Clarendon, , Vol, II , Oxford, 1882.
14. Garnett, G., The Origins of the Crown, Britsh Academy,1996.
15. Hume Brown: History of Scotland ,Cambridge,1889.
16. Hunt, W. ,The English Church in the Middle Ages, London,1888.
17. Innes: A History of the British Nation: from the Earliest Times of the Present day, London, 1918.
18. Lioyed: The Norman Conquest, London, 1967.
19. Mowat, M.A, History of Great Britain from the Roman Conquest to the Present Day, press, 1926.
20. Norgate, K. "The Date of Composition of William of Newburgh's History," English Historical Review, Vol, 1, 1904.
21. Oestriech, T., The Personality and Character of Gregory VII in Recent Historical Research, The Catholic Historical Review, Vol. 7, No. 1, Apr., 1921.
22. Palgrave, F.,: The History of Normand and England, Vol, III, London, 1864.
23. Reppy, The Oridance of William the Conqueror 1072- its Implications in the Modern law of Succession, Kentucky law journal: Vol. 42, 1954.
24. Rule, M., The Life and Times of St. Anselm Archbishop of Canterbury and Primate of The Britains,London,1883.
25. Sain Anselm, Compleze Works of Saint Anselm, Patristic publishim. 2019.
26. Smith, G., A constitutional and legal History of England ,New York,1955.
27. Southern, R.W., Saint Anselm: A Portrait in a Landscape, Cambridge University Press, 2004
28. Strickland, A. ,Lives of The Bachelor Kings of England, London, MDccclxi.
29. Thamrindinata, H., St. Anselm of Canterbury (1033-1109 AD): His Contributions to the Intellectual Developments on

Medieval Scholasticism, Journal of Theology and Christian Education, a Vol. 2, No. 1, January 2020.

30. Tivey, Defining Ideoloyin the Penlificate of Gregor VI, College of Arts and law, the University of Birmingham, December, 2011
31. Weber, M., Economy and Society. An Outline of Interpretive Sociology. Edited by Guenther Roth and Claus Wittich. Berkeley, USA: University of California Press, 1968.
32. Whitelock, the Beginning of English society the Anglo-period penguin Books, 1959.

ثالثا: المراجع العربية:

١. برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية(الكتاب الثاني)،الفلسفة الكاثوليكية، ترجمة زكى نجيب محمود، مراجعة أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للعلوم والثقافة، القاهرة، ٢٠٢٤م.
٢. سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى - الجزء الأول – التاريخ السياسي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٧.
٣. مفيد الزيدي: موسوعة تاريخ أوروبا الحديثة والمعاصر (٤٧٦- ١٥٠٠م) دار النشر أسامة للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٩م.
٤. نظير حسان سعداوي: تاريخ انجلترا وحضارتها في العصور القديمة والوسطى، دار النهضة، القاهرة، ١٩٨٦م.
٥. نور الدين حاطوم: تاريخ العصر الوسيط في أوربا، ج١، دار الفكر العربي، دمشق، ١٩٨٢م.

ثالثًا: الروابط الالكترونية:

- https://www.newadvent.org
- http://www.heritage history.com
- https://www.heritagehistory.com
- https://www.durhamworldheritagesite.com